الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين!!

مجلة إسلامية . ثقافية . شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

السنة الثانية والثلاثون . العدد الحادي عشر . ذو القعدة ١٤٢٤هـ . الثمن ١ جنيه

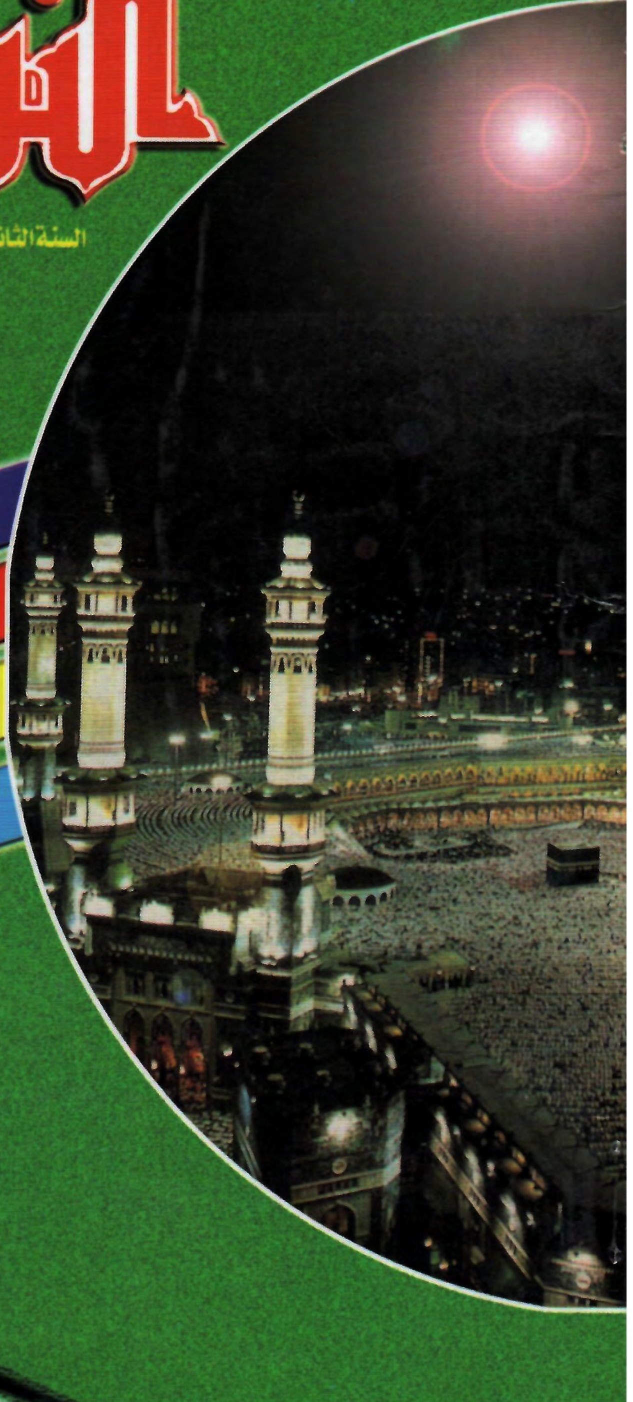

ملف خاص

نصائح للحجيج قبل سفرهم

أخطاء يرتكبها بعض الحجاج

حجة النبي ﷺ

بدع الحج والعمرة والزيارة

كيف يُطلّق المسلم ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

• صاحبة الامتياز •

جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
مجدي عرفات

التنفيذ والطباعة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين!!
التوحيد
ملف خاص
كيف يتلقى المسلم؟

صورة الغلاف

السلام عليكم

العشر الأول من ذي الحجة

قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذا العشر». فقالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؛ فقال الرسول ﷺ: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء» [صحيح سنن الترمذي رقم ٦٠٥]

وأنواع العمل في هذه العشر:

- أداء الحج والعمرة، وصيام هذه الأيام أو ما تيسر منها، وبالأخص صيام يوم عرفة لغير الحاج، والذي قال فيه النبي ﷺ: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله والسنة التي بعده». [أخرجه مسلم]

وذكر الله: التكبير ورفع الصوت في المساجد والدور والطرق والأسواق. والتهليل والتكبير والتحميد والتسبيح، والإكثار من الأعمال الصالحة من نوافل العبادات كالصلاة والصدقة والجهاد وقراءة القرآن، وصلاة العيد والأضحية.

اللهم تقبل وارحم. وأنت أرحم الراحمين.

رئيس التحرير

التحرير/ ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة ت: ٢٩٣٦٥١٧
المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

التوزيع الداخلى: مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

في هذا العدد

الافتتاحية: كيف يُطلق المسلم د. جمال المراكبي ٢
كلمة التحرير: الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين رئيس التحرير ٥
باب التفسير: سورة الطلاق (١) د. عبد العظيم بدوي ٩
باب السنة: حجة النبي ﷺ زكريا حسيني ١٢
منبر الحرمين: وقفات مع حجة النبي ﷺ سعود الشريم ١٨
نصائح للحجيج قبل سفرهم ابو بكر الحنبلي ٢١
بدع الحج والعمرة والزيارة محمد ناصر الدين الألباني ٢٤
اخطاء يرتكبها بعض الحجاج محمد بن صالح العثيمين ٢٦
الإعلام بسير الأعلام: «مسروق بن الأجدع» مجدي عرفات ٣١
من فضائل عرفة صلاح عبد الخالق ٣٤
الواحة ٣٦
القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٣٨
حكم الله في المال هو الرشاد محمد صفوت نور الدين ٤٠
وقفات مع القصة عبد الرازق السيد عيد ٤٢
مختارات من علوم القرآن مصطفى البصراتي ٤٥
اقرأ من مكتبة المركز العام علاء خضر ٤٨
أطفال المسلمين: الحلقة الثالثة والعشرون جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية علي حشيش ٥٣
فتاوى ابن عثيمين ٥٧
الأخلاق في الإسلام محمد عاطف التاجوري ٦٠
مفاهيم عقائدية: «الإيمان بالملائكة» أسامة سليمان ٦٤
كيف نفهم العقيدة د. محمود عبد الرازق ٦٦
اتبعوا ولا تبتدعوا: الحلقة الرابعة معاوية محمد هيكل ٦٩

فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢ قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ـ٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات see@islamway.net
موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com

ثمن النسخة:

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

الاشتراك السنوي:
١- في الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).
٢ ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك . على بنك فيصل الاسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

افتتاحية العدد

كيف يُطلق المسلم؟

بقلم
د. جمال المراكبي

تكلمنا من قبل عن الطلاق كمشكلة اجتماعية خطيرة تهدد الأسر وتهدم البيوت العامرة، وبينا أن أسباب ذلك تعدي حدود الله والإعراض عن سبيل التقوى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وليس معنى هذا أننا نحرم الطلاق، أو أننا نردد ما يروج له المغرضون من سلب الرجل سلطة إيقاع الطلاق وجعلها في يد القاضي، فالطلاق مشروع شرعه الله تعالى وبيّن لنا الحدود التي لا يجوز لأحد أن يتجاوزها أو يتعداها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وجعل الله سلطة إيقاع الطلاق للرجل باعتباره القيم على الأسرة، وهو الذي يتحمل تبعات الطلاق، ولكنه مع ذلك حد له الحدود ونهاه عن تجاوزها وتعديها، فما هي هذه الحدود؟ وكيف يتعامل الرجل معها إذا أراد الطلاق؟ واستشعر أن الحياة الزوجية لا تستقيم واستنفد كل وسائل الإصلاح، ونستطيع أن نجمل هذه الحدود في عبارة واحدة فنقول لمن أراد الطلاق وعزم عليه: «طلق امرأتك طلاقًا واحدًا في طهر لم تمسها فيه أو وهي حامل قد تبين حملها، ولا تخرجها من البيت إلا بعد انقضاء عدتها، واجتنب أيمان الطلاق وتعليق الطلاق».

أولاً: طلق طلاقًا واحدًا، أي مرة واحدة ولا تجمع الثلاث في لفظ واحد، أو في مجلس واحد، أو حتى في طهر واحد، وجمع الطلاق في لفظ واحد أن يقول الرجل: أنتِ طالق ثلاثًا أو بالثلاثة، وربما يتجاوز بعض الجهال عدد الثلاث أو يقول لا يحلها شيخ ولا يحرمها شيخ، وكأن الشيخ هو الذي يحلل ويحرم، وجمع الثلاث في مجلس واحد أن يطلق في المجلس مرة، ثم يعود فيطلق مرة ثانية وثالثة في نفس المجلس سواءً لتأكيد الطلاق أو لاستنفاد مرات وقوعه.

وجمع الثلاث في طهر واحد أن يطلقها مرة ثم يطلقها الثانية بعد يوم أو أيام ثم يطلقها الثالثة كذلك في نفس الطهر أي قبل أن تحيض، وهذا كله من تعدي حدود الله في الطلاق.

قال تعالى: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، ومعنى ذلك أن الطلاق الرجعي الذي يجوز للزوج أن يراجع زوجته بعده مرتان، أي مرة بعد مرة، ثم قال بعد هذه الآية: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾،

وهذه هي الطلقة الثالثة التي تبين الزوجة بينونة كبرى، ولا يستطيع الزوج مراجعتها إلا إذا تزوجت بآخر ثم طلقت منه أو مات عنها.

ومن هنا كان من شر البدع التي حدثت في المجتمع المسلم أن يجمع الزوج الطلاق الثلاث في لفظ واحد أو مجلس واحد، وقد عاقب عمر بن الخطاب مثل هذا الزوج بعقوبة تعزيرية بليغة، فأمضى عليه الطلاق الثلاث ولم يسمح له بمراجعة زوجته كما في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم.

فجمع الطلاق ثلاثًا من البدع المقيتة ومن تعدي الحدود الشرعية، تضع الأسرة في حرج بالغ، وتحتار لجان الفتوى مع مثل هذه الحالات، وقد كان الفقهاء قديمًا يميل أكثرهم إلى اجتهاد عمر في اعتبار الثلاث من باب التعزير، ويقولون بقول ابن عباس لمن تجاوز حده فأوقع الثلاث :«يركب أحدكم الحماقة، ثم يأتي ويقول يابن عباس، بانت منك امرأتك وعصيت ربك».

وقد روي أن النبي ﷺ عد ذلك من اللعب بكتاب الله فقال وهو غضبان: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم».

ولجان الفتوى الآن تميل إلى اعتبار الثلاث واحدة من باب التيسير على الأسر خاصة وقد فشت هذه الحماقة بين الأزواج ولم يُجدْ التعزير معهم شيئًا، خاصة وأن التعزير يصيبُ من لا ذنب له من أفراد الأسرة من الزوجة والأبناء.

والزوج العاقل هو الذي لا يركب مثل هذه الحماقات إذا أراد الطلاق وعزم عليه طلق طلقة واحدة رجعية، فأعطى نفسه الفرصة ليراجع، واتقى ربه ولم يتعد حدود الله.

ثانيًا: طلق امرأتك في طهر لم تمسها فيه أو في حال حملها، فلا تطلقها في حال الحيض، ولا تطلقها في طهر قد مسستها فيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١].

وقد فسر النبي ﷺ الآية الكريمة بمنع الرجل من طلاق امرأته وهي حائض كما جاء في الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء.

فطلاق المرأة وهي حائض حرام، وطلاقها في طهر قد جامعها فيه حرام: لقول النبي ﷺ: «وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء». فمن خالف وفعل غير ذلك فقد تعدى حدود الله وظلم نفسه وارتكب محرمًا.

والعجيب أن أكثر الناس يتجاوز هذه المسألة وهي حرمة طلاق الحائض ويسأل عن أمر آخر وهو أيقع هذا الطلاق أم لا؟ وأكثر أهل العلم على وقوع هذا الطلاق لقول ابن عمر في حديث البخاري «وحسبت عليَّ تطليقة»، وقوله: «أرأيت إن عجز واستحمق».

وفي مسند الطيالسي بسند صحيح عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فأتى عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له فجعلها واحدة.

قال ابن حجر: وهو نص في موضع الخلاف فيجب المصير إليه.

ويرى فريق آخر من العلماء عدم الاعتداد بهذا الطلاق لأنه وقع على خلاف ما أمر به الله ورسوله فيكون من المحدثات المردودة؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ولقول ابن عمر في رواية أبي داود: فردها عليَّ ولم يرها شيئًا، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، واختيار

مشايخنا في أنصار السنة.

فعلى كل عاقل أن يتقي الله تعالى ويتجنب إيقاع الطلاق حال الحيض أو في الطهر الذي جامع زوجته فيه؛ لأنه حرام يستوجب المقت والغضب، ولا يتخذ من خلاف العلماء ذريعة للإقبال على المحرم، ومخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.

ثالثًا: لا تخرج امرأتك من البيت بعد إيقاع الطلاق، ولا يجوز للمرأة أن تخرج كذلك، فإن في بقاء المرأة في بيتها بعد الطلاق طيلة فترة العدة ما يسمح للزوج بأن يراجع نفسه فربما يكون قد تسرع في إيقاع الطلاق، ويسمح للزوجة كذلك بأن تراجع نفسها وسلوكها تجاه زوجها وبيتها، وعادة ما يؤدي هذا الأدب القرآني إلى مراجعة الزوج زوجته، وتَعَلُّم الدرس جيدًا دون تدخل خارجي ربما يزيد معه الشقاق، قال تعالى: ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

فسبحان مقلب القلوب ومصرفها شرع لنا ما فيه الخير والسعادة حتى عند التدابر والشقاق وعند إيقاع الطلاق، وهيأ لنا أسباب الرجعة عند التسرع والخطأ.

رابعًا: اجتنب أيمان الطلاق:

والحلف بالطلاق من البدع المنكرة التي استشرت في كثير من المجتمعات، وفيها لعب بكتاب الله، وكفر به، قال تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». وقال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغير الله صادقًا.

فانظر كيف جعل ابن مسعود اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم وفي النار أفضل من الحلف بغير الله الذي عده رسول الله ﷺ كفرًا وشركًا.

خامسًا: إياك وتعليق الطلاق:

كثير من الأزواج يعجز عن قيادة الأسرة بالعقل والحكمة فيلجأ إلى تهديد الزوجة بالطلاق إذا حدث أمر من الأمور التي لا يريدها، وقد يكون هذا الأمر مقدورًا للزوجة، وقد يخرج عن إطار قدرتها واختيارها، وليت الزوج يكتفي بالتهديد بأنه سيطلق إذا حدث هذا الأمر، ولكنه يلفظ بالطلاق معلقًا إياه على وقوع هذا الأمر، فيقول: إن فعلت كذا فأنتِ طالق، وعادة ما تفعل المرأة هذا الأمر ثم يأتي الزوج نادمًا، ساخطًا على هذه المرأة التي لم تحفظ يمينه، طالبا المخرج من العلماء ولجان الإفتاء، بينما هو في الحقيقة عاجز عن حفظ يمينه وإحكام السيطرة على لسانه فكيف يحكم السيطرة على أهل بيته.

إن أيمان الطلاق، وتعليق الطلاق تدل دلالة واضحة على ضعف الأزواج وعجزهم عن قيادة الأسرة بالشكل المرضي.

إن أيمان الطلاق لا تحل المشاكل الزوجية، وتعليق الطلاق لا يمنع المرأة من عمل تريده، وإن أكثر ما يعرض على لجان الفتوى يتعلق بأيمان الطلاق وبالطلاق المعلق والطلاق البدعي، ولو علم الأزواج كيف تكون القوامة في البيت ولو علموا كيف يكون الالتزام بالحدود الشرعية والاحترام لدين الله، ولو علم الأزواج كيف تكون العشرة الطيبة وبم تعود على الأسرة من سعادة وهناء. لو علم الأزواج كيف يقع الطلاق على الوجه الذي شرعه الله، لندرت المشاكل ولقلت حالات الطلاق بشكل واضح.

فيا أخي المسلم تعلم كيف تطلق، ومتى تطلق، وبأي لفظ تطلق، ولا تتعد حدود الله.

جعلنا الله وإياكم من عباده المتقين.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين

بقلم
رئيس التحرير

الحمد لله القاهر فوق عباده، والقائل في كتابه ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦]. فهو وحده سبحانه المتفرد بتصريف الأمور، وتدبير العالم، له الملك المطلق والتصريف المحكم يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، فليس الأمر بأمانيِّنا ولا بأماني أهل الكتاب ولا غيرهم، بل الأمر أمر الله هو المتصرف بمداولة الأيام بين الناس ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾.

وإن من درس تاريخ الأمة الإسلامية يجد أن الانفراج كثيرًا ما يولد من رحم الأزمات ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:٥-٦].

وقد تكالبت قوى الكفر والباطل على الإسلام والمسلمين، وازدادت الطعنات، ولا زال أمامنا قول الهادي البشير ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قيل: يا رسول الله: فمن قلة يومئذ؟ قال: لا و لكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم و ينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا و كراهيتكم الموت» [صحيح الجامع ٨١٨٣]

إن الصدمات قد توهن الأبطال، وتضعف من همة النزال، ولكن أصحاب الإيمان الراسخ واليقين الصادق لا تتزلزل لهم أركان، ولا ينتفض لهم بنان، ولو اجتمع لحربهم الإنس والجان، فعند كثرة المصائب وتراكم الأهوال يظهر أهل الإيمان والتوكل على الله ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]، فالمؤمن الموقن بالله لا يلتفت إلى سواه في السراء والضراء.

الفجر الأحمر

وبالأمس القريب وفي مشهد حزين لمسرحية هزلية أبطالها من مصاصي دماء المسلمين وممن يحملون الأحقاد الدفينة قام بوش وزبانيته بتقديم عرض هزلي جديد ومشهد مؤلم حرصت أمريكا على عرضه عبر شاشات التليفزيون على العالم أجمع وعرضت صدام حسين في صورة لا يقبلها إنسان، وعرض بول برايمر الحاكم الأمريكي في العراق شريط الفيديو الخاص بعملية القبض على صدام حسين، وإذا كان الاتفاق بداية على أن المسألة ليست دفاعًا عن صدام حسين، وإنما هي دفاعًا عن كرامة كل مسلم وعربي أرادت قوى الاحتلال الأمريكي بالتعاون مع اليهود أعداء الله وأعداء البشرية جمعاء أن تبث في قلب كل مسلم حالة من الإحباط والاستسلام.

وبرغم أن العالم كله قد أيقن أن المسرحية الهزلية التي بدأها الحاكم الأمريكي في العراق معلنًا أمام الصحفيين في بغداد قبل أن يبدأ العرض الذي كان مقصودًا منه إعدام صدام حسين معنويًا وإعدام صورته أمام العالم كله، حينما قال بريمر: «لقد قبضنا عليه»!!!

أن الهيئة التي رأوه عليها كأسد عجوز تكشف تفاصيل الفيلم الأمريكي والذي غاب عنهم أن يراعوا الخلفيات للمناظر المعدة سلفًا وتظهر في أحد الخلفيات النخيل العراقي يشارك هو الآخر في المعركة ضد احتلال بوش وأكاذيبه، وتصور أصحاب القرار في البيت الأبيض أن المسألة ستمر بسلام لكنهم فوجئوا في اليوم التالي بفضيحة لم تخطر لهم على بال حيث كان الجندي الأمريكي الواقف فوق القبو المزعوم يبتسم فرحًا للمصورين وفي الخلف منه تبدو نخلة يتدلى منها التمر الأصفر، وكان المنظر بالنسبة للرأي العام الغربي عاديًا إلا أن المسألة قد دلت على الكذب والخداع الأمريكي اليهودي، فالتمر ينتهي في الدول العربية وخاصة العراق في شهر اكتوبر مما كشف عن الخداع والزيف المعلن في توقيت القبض على صدام حسين حسب ما كشفتها بعد ذلك بعض المصادر الخاصة والتي تحدثت عن معرفة مكان صدام حسين وبث المخدر له ولاثنين من حرّاسه حتى يستطيعوا القبض عليهم بدون أي خسارة للقوات الأمريكية، وذلك قبل الوقت المعلن بحوالي شهر ونصف أو شهرين، ونجاح خطتهم والقبض على صدام والجميع في حالة نوم عميق بعد تناولهم الطعام المسرب من خلال القوات الأمريكية بعد وضع المخدر فيه وتم القبض عليهم، وإبلاغ بوش الذي طلب إحضار صدام إلى أمريكا في سرية تامة، ونقل بطائرة خاصة مع بريمر إلى واشنطون!!

بوش الابن يتشفى لأبيه

وكان بوش يريد أن يرى صدام ذليلا راكعًا قبل الإعلان عن خبر اعتقاله، وأجريت معه التحقيقات في أجهزة المخابرات الأمريكية التي رفض صدام كما أعلن التعاون معها أثناء التحقيقات، ومنذ القبض على صدام وهو يحصل على جرعات مكثفة من الهيروين والكوكايين ومواد كيماوية أخرى، والمدهش أن هذه المادة المخدرة ليست من إنتاج المخابرات الأمريكية وإنما هي إنتاج إسرائيلي. درجت إسرائيل على استخدامها مع القادة الفلسطينيين الذين يتم القبض عليهم واستجوابهم، والجرعات المعطاه شديدة التأثير فبعد أن يسلم المتعاطي نفسه للنوم العميق، وعندما يصحو يشعر أنه مسلوب الإرادة وغير قادر على تذكر الأحداث، كما أنها تشيع التفاؤل مع الشخص فيتحدث وكأنه مع أصدقائه ومعارفه!!

أمريكا الأسطورة.. والقفص الحديدي

وهنا قد يتساءل البعض عن صحة الرواية المذكورة إذا كان بوش قد أخذ صدام إلي واشنطون فلماذا أعاده إلى بغداد ثم عرض مسرحية القبض عليه من جديد في بغداد، وكان ذلك مخطط رامسفيلد

●● إن الصدمات قد توهن الأبطال، وتضعف من همة النزال، ولكن أصحاب الإيمان الراسخ واليقين الصادق لا تتزلزل لهم أركان، ولا ينتفض لهم بنان ولو اجتمع لحربهم الإنس والجان

وزير الدفاع بأن يدعو بوش إلى مؤتمر صحفي عالمي في البيت الأبيض وبجواره بريمر وفي ذروته يقدم بوش للعالم مفاجأته الثقيلة المذهلة حيث يقدم لهم صدام حسين داخل قفص حديدي وكان هذا مقترح بعض المستشارين ولكن وبعد وصول بريمر إلى العاصمة الأمريكية عقد بوش اجتماعًا مع مستشاريه حضره برايمر وقيادات الأمن القومي والقيادات العسكرية في العراق وشارك فيه رامسفيلد وكونزاليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي، وكولين باول، ووافق الجميع على الخطة واعترض عليها باول وبرايمر، واعترض باول قائلا: إن تنفيذ هذا السيناريو بالقفص الحديدي» لن يكون موجها ضد صدام وإنما ستكون رسالة لكل الشعوب العربية، وإن هذا المشهد الذليل سيرفضه العراقيون أنفسهم بل حتى أعداء صدام!!

وتم الاتفاق على تأجيل الإعلان عن القبض على صدام على أن يتولى جورج تنيت رئيس جهاز الاستخبارات الأمريكية وقائع التحقيق مع صدام. وبعد حوالي شهر تقريبًا أعادوه على متن طائرة خاصة ومعه عدد كبير من رجال الـ «سي. آي. إيه» والفرقة الرابعة الأمريكية مشاة ورجال الموساد الإسرائيلي!!

وزار بوش العراق سرًا بعد أن أدرك أن الأوضاع الأمنية تتجه ظاهرًا إلى الاستقرار باعتقال صدام حسين. ومع استمرار هجمات المقاومة بعد ذلك واشتدادها أدلى الجنرال ريكاردوا قائد القوات الأمريكية في العراق بتصريح جاء فيه «إن اعتقال أو قتل صدام حسين لن يضع حدًا لهجمات المقاومة العراقية.. وبعدها بعدة أيام كان الإعلان الذي قدم فيه بريمر شريط الفيديو الخاص بعملية القبض على صدام.

ويبدو أن نشوة النصر جعلت الأمريكيين يكشفون وعن غير قصد كذب الرواية التي رووها عن عملية اعتقال صدام حسين، وجاءت التي أذاعتها الفضائيات وكشفت عن أنها صور قديمة التقطت منذ ما يزيد على شهر ونصف الشهر منذ وجود التمر الأصفر الذي دللت عليه الصورة التي التقطت للمنزل والحديقة والأماكن المجاورة!!

دعوة الرئيس الفرنسي لحظر الحجاب

والهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين مستمرة من كل صوب وحدب، وها هو واحد من الغرب المدعين الدفاع عن الإسلام والعرب يصدر أمرًا في نهاية الشهر الماضي بمنع الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب في المدارس.

ومنع المرأة المسلمة في فرنسا من ارتداء الحجاب، إنه شأن يخص وبصفة أساسية مسلمي فرنسا كلهم، ويعني ثانية علماء الإسلام وأهل الفتوى منهم بوجه خاص لئلا يضل أهل الإسلام أحدا ويزل بناء على قول القائل منهم «هذا شأن داخلي».

•• بالأمس القريب قدم الأمريكان مشهدًا هزيلا محزنا وعرضوا صدام حسين المغيب عن الوعي في صورة لا يقبلها إنسان مسلم

•• الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين تشتدُّ في فرنسا ويصدر الرئيس الفرنسي شخصيًا قرارًا بمنع ارتداء الحجاب، والعالم الإسلامي يقف موقف المتفرج على ما يحدث ويعتبره شأنًا داخليًا فرنسيًا

إن أمريكا وأوروبا تتدخلان في شئوننا الداخلية بحجة حماية الأقليات المسيحية برغم أنها تتمتع بحقوقها كاملة، فكيف يتخلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن دوره في الدفاع عن المسلمين في العالم كله!!

كما أننا نطالب المسئولين في وزارة الخارجية وحكومات الدول الإسلامية بتقديم الاحتجاج لدى الحكومة الفرنسية لتتراجع عن قرارها بمنع ارتداء الحجاب لأنه واجب على كل مسلمة أن ترتديه.

الابتلاء سنة الله في المؤمنين

ومع ازدياد الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين فإننا نقول: إن لكل أمر عتادًا وسلاحًا، وأن عتاد الشدائد الصبر، وترقب به النفس المؤمنة بلوغ الأماني، وقد ذكر الله سبحانه الصبر في كتابه الكريم ترغيبًا فيه، ومقرونًا بالأعمال الصالحة التي تقرب العبد إليه، ويأمر به كوسيلة من وسائل الخير وسبيل إلى الفلاح والفوز ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «ما أعطى أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر» [أخرجه البخاري ومسلم]

لقد جرت سنة الله تعالى أن يبتلي عباده بالخير والشر، ويمتحن إيمانهم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى، يمتحنهم بالشدة بعد الرخاء، وبالرخاء بعد الشدة، لينظر مبلغ شكر الشاكرين ومدى صبر الصابرين والمحتسبين ﴿... وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وإن ما ابتلي به السلف الصالح من تكالب المعتدين عليهم، وتكتل المجرمين لسفك دمائهم البريئة، وغزوهم في ديارهم هو بلا شك بلاء ومحنة، وشر مستطير، ولكنهم حيثما قابلوا ذلك بالصبر الجميل والتضحية في أرفع مجالاتها، أعقبهم الله الخير بعد الشر، وأعقبهم اندحار قوى الشر والعدوان، وردها على أعقابها، وإحباط خططها الأثيمة ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

فلنصبر ولنحتسب ونصر الله آت لا محالة ولنُقبل على الله تائبين وإليه راغبين ونعد لكل أمر عُدته، مجتهدين في نصر دين الله عز وجل حتى نستحق نصره وتأييده، ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾، فاللهم مجري السحاب ومنزل الكتاب وهازم الأحزاب، لا إله إلا أنت وحدك. نسألك اللهم أن ترينا آية في أعدائك تثلج الصدور، وتشفي غليل المسلمين، اللهم آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

•• مع ازدياد الهجمة الشرسة على الإسلام فإننا نقول: إن لكل أمر عتادًا أو سلاحًا، وأن عتاد الشدائد الصبر، ترقب به النفس المؤمنة بلوغ الأماني

•• جرت سنة الله أن يبتلي عباده بالخير والشر ويمتحن إيمانهم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى

سورة الطلاق

•• الحلقة الأولى ••

إعداد

د. عبد العظيم بدوي

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [الطلاق: ١، ٢].

بين يدي السورة

إنَّ الحياة الزوجية لا تقومُ إلا على أساس من المودة والرحمة، وقيام كلّ من الزوجين بما عليه لصاحبه من الحقوق. وقد يقصّر كلٌ منهما أو أحدهما في القيام بواجبه فيكرهه صاحبه، والله سبحانه يرشد الرجال إلى الصبر على ما يكرهون من أزواجهم، فيقول تعالى: ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١]، ويقولُ النبيّ ﷺ: «لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خُلقًا، فقد رضي منها آخر».

[صحيح. رواه مسلم (٢/١٠٩١/٤٦٩)]

ولكن رُبما يتفاقمُ الأمرُ، ولا يستطيعُ الرجلُ الصبرَ، فيرشدُه اللهُ تعالى إلى طرق العلاج التي يُقوِّمُ بها ما يجده من المرأة من تقصير ونشوز، فيقول تعالى: ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]، وربما كان النشوز من الرجل نفسه، فيرشد الربُّ سبحانه المرأةُ إلى طرق علاج نشوز الرجل فيقول: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

فإذا اشتدَّ الخلاف، وازداد الشقاق بينهما، ولم يمكنهما القضاءُ عليه وجب تدخلُ الأهل بينهما للنظر في الأمور، وفعل الأصلح، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء:٣٥]، فإن وُفّقا فبها ونعمت، ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا

يُغْنِ اللَّهُ كُـلاً مِنْ سَعَتِهِ﴾، وهذا التفرّق هو الطلاق الذي تتحدث السورة الكريمة عن أحكامه وما يترتب عليه من سكنى ونفقة وعدّةٍ وغير ذلك.

وقد تضمنت السورةُ حشدًا هائلاً من الترغيب والترهيب لبيان خطورة الأمر، والإشعار بأنّ هذه الأحكام المذكورة في هذه السورة يجب الالتزام بها، والوقوفُ عند حدودها، فإنّ من يخالفها يحاسبه الله حسابًا شديدًا ويعذّبه عذابًا نكرًا، وتكون عاقبةُ أمره خسرا.

تفسير الآيات

الطلاق في اللغة: مأخوذٌ من الإطلاق، وهو الإرسالُ والترك، تقول: أطلقتُ الأسير، إذا حللتَ قَيْدَه وأرسلْتَه.

وهو في الشرع: حلُّ رابطةِ الزواج، وإنهاءُ العلاقةِ الزوجية.

وقد كان الرجلُ في الجاهلية وصدر الإسلام يطلّق امرأته ما شاء، وهي امرأتُه إذا راجعها في العدّة، وإنْ طلّقها مائة مرةٍ أو أكثر، حتى قال رجلٌ لامرأته: والله لا أطلّقك فتبيني مني، ولا آويك أبدًا. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلّقك، فكلما همّتْ عدّتك أن تنقضي راجعتُك. فأنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾. قال العلماء: الطلاق نوعان: سُنيّ وبدعيّ. فطلاق السنة هو الواقع على الوجه الذي ندب إليه الشرع، وهو أن يطلّق الزوجُ المدخولَ بها طلقةً واحدةً، في طهرٍ لم يمسسها فيه؛ لقول الله تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ أي أنّ الطلاق المشروعَ يكون مرةً يعقبها رجعة، ثم مرةً ثانيةً يعقبها رجعةٌ كذلك، ثم إنّ المطلّق بعد ذلك له الخيار، بيْنَ أن يمسكَها بمعروف أو يفارقَها بإحسان.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: إذا أردتم تطليق النساء فطلقوهنّ مستقبلاتِ العدة، وإنما تستقبلُ المطلّقةُ العدّة إذا طلّقها بعد أن تطهر من حيض أو نفاس، وقبل أن يمسّها، وحكمةُ ذلك: أن المرأةَ إذا طُلقتْ وهي حائضٌ لم تكن في هذا الوقت مستقبلةً العدّة، فتطول عليها العدّة؛ لأن بقية الحيض لا يحسب منها، وفيه إضرارٌ بها، وإن طُلقتْ في طهرٍ مسّها فيه، فإنها لا تعرف هل حملت أو لم تحمل، فلا تدري بم تعتد، أتعتدّ بالأقراء أم بوضع الحمل؟

عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أنه طلّق امرأته وهي حائض على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فسأل عمرُ بنُ الخطاب رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول اللَّه ﷺ: «مُرْه فليراجعها، ثم ليمسكْها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إنْ شاء أمسك بعد ذلك، وإن شاء طلّق قبل أن يمسّ، فتلك العدّة التي أمر الله سبحانه أن تطلّق لها النساء». [متفق عليه]

أما الطلاق البدعيّ: فهو الطلاق المخالفُ للمشروع، كأن يطلّقها ثلاثًا بكلمةٍ واحدةٍ، أو يطلّقها ثلاثًا متفرقاتٍ في مجلسٍ واحدٍ، كأن يقولَ: أنتِ طالقٌ، أنتِ طالقٌ، أنتِ طالقٌ. أو يطلّقها في حيضٍ أو نفاس، أو في طهر جامعها فيه.

وأجمع العلماء على أنّ الطلاق البدعيّ حرام، وأنّ فاعله آثم.

وذهب جمهورُ العلماء إلى أنه يقع، واستدلّوا بالأدلّة التالية:

١- أنّ الطلاق البدعيّ مندرج تحت الآيات العامة.

٢- تصريحُ ابن عمر رضي الله عنه لما طلّق امرأته وهي حائض، وأمرهُ الرسول ﷺ بمراجعتها، بأنها حُسِبَت تلك الطلقة. انتهى من «فقه السنة».

فعُلم مِن هذا أن هناك وقتًا معينًا لإيقاع الطلاق، وأنه ليس للزوج أن يطلّق حينما شاء، إلا أن تكون امرأتُه في حالة طهرٍ من حيض، ولم يقعْ بينهما في هذا الطهر وطء. وتفيدُ آثار أخرى أنّ هناك حالةً ثانيةً يجوزُ فيها الطلاق، وهي أن تكون الزوجةُ حاملاً بيّنة الحمل. والحكمةُ في ذلك التوقيت هي أولاً إرجاء إيقاع الطلاقِ فترةً بعد اللحظة التي تتجه فيها النفسُ للطلاق، وقد تسكن الفورةُ إن كانت طارئةً وتعود النفسُ إلى الوئام، كما أنّ فيه تأكدًا من الحمل أو عدمه قبل الطلاق، فقد يمسك عن الطلاق لو علم أن زوجه حاملٌ، فإذا مضى فيه وقد تبيّن حملُها دلّ على أنه مريدٌ له ولو كانت حاملاً. فاشتراط الطهر بلا وطء هو للتحقق من عدم الحمل، واشتراط تبين الحمل هو ليكون على بصيرةٍ من الأمر.

وهذه أوّل محاولة لرأب الصدع في بناء الأسرة، ومحاولةِ دفع المعْولِ عن ذلك البناء».

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: احفظوها، واعرفوا ابتداءَها وانتهاءها، لئلا تطولَ العدّة على المرأة فتمتنع من الأزواج.

والعدّة: اسم للمدة التي تنتظر فيها المرأة،

وتمتنع عن التزويج بعد وفاة زوجها أو فراقه لها.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾. يعدّ أول تنبيه وأول تحذير من الله، بعد الأمر بأن تطلّق النساء لعدّتهن، وأن تُحصى العدة، وقبل النهي عن إخراج المعتدة من بيت زوجها الذي سمّاه الله بيتها. وذلك لأن التقوى هي خير معين على امتثال ما أمر الله به، وترك ما نهي عنه.

ثم قال تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾، وهذا أدبٌ قد غفل عنه جُلُّ الناس إلا من رحم الله، فما أن يطلّق الرجلُ المرأة حتى تخرجَ إلى بيت أهلها، وإنْ بقيتْ أخرجها هو، والله يقول: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ فالمطلقة طلاقًا رجعيًا لها حقّ السكنى والنفقة، فليس للرجل أن يُخرجَها من بيتها ما دامت في عدّتها منه، ولا يجوز لها أيضًا الخروجُ لأنها معتقلة لحقّ الزوج، فإن أتت بفاحشةٍ كالزنى او أذيةٍ وإساءة له أو لأهله أخرجها حينئذ. وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، وهذا هو التحذير الثاني، فالحارس لهذا الحكم هو الله، فهل يتعرض مؤمن لحدّ يحرسه الله؟ إنه الهلاك والبوار. ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ ظلَمَ نفسَه بتعريضها هكذا لبأس الله، القائم على حدوده يحرسها ويرعاها، وظلَمَ نفسَه بظلم زوجه.

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ فيه إشارة إلى حكمه بقاء المعتدَة في منزل الزوج، وهي الأمل في الرجعة، فالقلوب بيد الله، يقلّبها كيف يشاء، وقد تتغير الأحوال وتتبدل إلى هناءة ورضًى، ومن يدري: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

«من ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة أي المقطوعة، وكذا المتوفَى عنها زوجها، واعتمدوا أيضًا على حديث فاطمة بنت قيسٍ الفهرية حين طلّقها زوجُها أبو عمرو بن حفص آخرَ ثلاثِ تطليقات، وكان غائبًا عنها باليمن، فأرسل إليها وكيلُه بشعير، يعني نفقة، فتسخّطته، فقال: والله ليس لك علينا نفقة. فأتت رسول الله ﷺ فقال: «ليس لك عليه نفقة». ولمسلم: «ولا سكنى». وأمرها أن تعتدّ في بيت أمّ شُريك، ثم قال: «تلك امرأةٌ يغشاها أصحابي، اعتدّي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجلٌ أعمى تضعين ثيابك» الحديث. وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال: حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا مجالد حدثنا عامر قال: قدمتُ المدينة فأتيتُ فاطمة بنت قيس، فحدثني أنّ زوجَها طلّقها على عهد النبي ﷺ، فبعثه رسولُ الله ﷺ في سرية، قالت: فقال لي أخوه: اخرجي من الدار. فقلت: إنّ لي نفقةً وسكنى حتى يحلّ الأجل. قال: لا. قالت: فأتيتُ رسول الله ﷺ، فقلتُ: إنّ فلانًا طلقني، وإنّ أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة. فقال له: «ما لك ولابنة آل قيس؟» قال: يا رسول الله، إنّ أخي طلّقها ثلاثًا جميعًا. قالت: فقام رسول الله ﷺ: «انظري يا بنت آل قيس، إنما النفقة والسكنى للمرأةِ على زوجها ما كانتْ له عليه رجعة، فإذا لم يكن له عليه رجعةٌ فلا نفقةَ ولا سكنى». وذكر تمام الحديث. اهـ من ابن كثير.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: فإذا بلغت المعتداتُ أجلهن، أي شارفن على انقضاءِ العدة، وقاربن ذلك، ولكنْ لم تفرغ العدة الكلية، فحينئذ إما أنْ يعزمَ الزوج على إمساكها، وهو رجعتُها إلى عصمة نكاحه، والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده «بِمَعْرُوفٍ» أي: محسنًا إليها في صحبتها، وإمّا أن يعزم على مفارقتها «بِمَعْرُوفٍ» أي: من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف، بل يطلّقها على وجه جميل حسن». انتهى من ابن كثير.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ ففي حالتي الفراق أو الرجعة تطلب الشهادةُ على هذه وتلك. شهادةُ اثنين من العدول، قطعًا للريبة، فقد يعلم الناسُ بالطلاق ولا يعلمون بالرجعة، فتثور شكوك، وتُقال أقاويل. والإسلامُ يريد النصاعة والطهارة في هذه العلاقات وفي ضمائر الناس وألسنتهم على السواء.

وعقب بيان الحكم تجيء التوجيهاتُ تَتْرَى.

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ فالقضيةُ قضيةُ الله، والشهادةُ فيها لله، هو يأمر بها، وهو يراقب استقامتها، وهو يجزي عليها، والتعامل فيها معه لا مع الزوج ولا الزوجة ولا الناس.

﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ والمخاطبون بهذه الأحكام المؤمنون المعتقدون باليوم الآخر، فهو يقول لهم: إنه يعظم من شانهم، فإذا صدقوا الإيمان به وباليوم الآخر فهم إذن سيتعظون ويعتبرون، وهذا هو محك إيمانهم، وهذا هو مقايس دعواهم في الإيمان.

والله أعلم.

حجة النبي

صلى الله عليه وسلم

إعداد:

زكريا حسيني

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين... وبعد:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عن القوم حتى انتهى إليَّ فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين، فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زري الأعلى ثم نزع زري الأسفل ثم وضع كفه بين ثديَيَّ وأنا يومئذ غلام شاب، فقال: مرحبًا بك يا ابن أخي، سلْ عما شئت، فسألته وهو أعمى، وحضر وقت الصلاة فقام في نِساجةٍ ملتحفًا بها كلما وضعها على منكِبِهِ رجع طرفاها إليه من صغرها ورداؤه إلى جنبه على المِشْجَب فصلى بنا، فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ، فقال بيده تسعًا، فقال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذَّن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاجّ فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلتْ إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع، قال: اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي، فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماشٍ وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك، ورسولُ الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به فأهلَّ بالتوحيد لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وأهلَّ الناس بهذا الذي يهلون به فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئًا منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته، قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي يقول: «ولاَ أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ»، كان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فَرَقِيَ عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله الله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبَّت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى، حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلّ وليجعلها عمرة، فقام سراقة بن مالك بن جُعْشُمٍ فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم لأبدٍ، فشبَك رسول الله ﷺ

أصابعه واحدة في الأخرى وقال: دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبدٍ أبدٍ، وقدم عليٌّ من اليمن ببُدْنِ النبي ﷺ، فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل ولبست ثيابًا صبيغًا واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت: إنَّ أبي أمرني بهذا، قال: فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ مُحَرِّشًا على فاطمة للذي صنعت مستفتيًا لرسول الله ﷺ فيما ذكرتْ عنه، فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها، فقال: صدقتْ صدقتْ، ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال: قلت: اللهم إني أُهِلُّ بما أهلَّ به رسولك، قال: فإن معي الهدي فلا تحل، قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به على من اليمن والذي أتى به النبي ﷺ مائة، قال: فحلَّ الناس كلهم وقصروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منًى فأهلوا بالحج وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمَيَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فُرُشَكم أحدًا تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضربًا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون»؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات، ثم أذن، ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر، ولم يصلِّ بينهما شيئًا، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى: «أيها الناس، السكينةَ السكينةَ» كلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئًا، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًا، فدفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيمًا، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظُعُنٌ يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى أتى بطن مُحسِّر فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثًا وستين بيده، ثم أعطى عليًا فنحر ما غبر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجلعت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوًا فشرب منه.

زاد في رواية أخرى في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم، ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف، ووقفت ههنا وجَمْعُ كلها موقف».

هذا الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ برقم (٢٩٥٠)، وأخرجه أبو داود في كتاب المناسبك باب صفة حجة النبي ﷺ (١٩٠٥)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك باب حجة رسول الله ﷺ برقم (٣٠٧٤).

شرح الحديث

قال الإمام النووي عن هذا الحديث (حديث جابر) وهو حديث عظيم مشتمل على جُمَلٍ من الفوائد ونفائس من مهمات القواعد، ثم قال: قال القاضي: وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا وصنف فيه أبو بكر بن المنذر جزءًا كبيرًا، وخرَّج فيه من الفقه مائة ونيفًا وخمسين نوعًا ولو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه، قوله: «عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر...» إلى قوله: «... فصلى بنا».

قال النووي: هذه القطعة فيها فوائد منها:

- أنه يستحب لمن ورد عليه زائرون أو ضيفان ونحوهم أن يسأل عنهم لينزلهم منازلهم كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم.

-وفيه إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ كما فعل جابر بمحمد بن علي.

- استحباب قوله للزائر والضيف ونحوهما مرحبًا.

- ملاطفة الزائر بما يليق به وتأنيسه، وهذا سبب حل جابر زري محمد بن علي ووضع يده بين ثدييه، وقوله: وأنا يومئذ غلام شاب فيه تنبيه على أن سبب فعل جابر ذلك التأنيس لكونه صغيرًا، وأما الرجل الكبير فلا يحسن إدخال اليد في جيبه والمسح بين ثدييه.

- جواز إمامة الأعمى البصراء ولا خلاف في جواز ذلك.

- أن صاحب البيت أحق بالإمامة من غيره.

- جواز الصلاة في الثواب الواحد مع التمكن من الزيادة عليه.

- جواز تسمية الثدي للرجل وفيه خلاف لأهل اللغة منهم من جوزه، ومنهم من قال يختص الثدي بالمرأة ويقال في الرجل «ثندؤة».

- وقوله: «في نساجة» هي بكسر النون وتخفيف السين وبالجيم، ووقع في بعض النسخ «ساجة» بغير نون، والساجة ثوب كالطيلسان والنساجة الثوب الملفق، وكلاهما صحيح. والله أعلم.

وقوله: «ورداؤه إلى جنبه على المشجب» المِشْجَبُ: أعواد تعلق عليها الثياب.

وقوله: «أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ» هي بكسر الحاء وفتحها، والمراد حجة الوادع.

- وقوله: «فقال بيده فعقد تسعًا فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج»: يعني مكث بالمدينة بعد الهجرة تسع سنين لم يحج فيها.

قوله: «ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج»: معناه أعْلَمَهم بذلك وأشاعه بينهم ليتأهبوا للحج معه ويتعلموا المناسك والأحكام، ويشهدوا أقواله وأفعاله، ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب، وتشيع دعوة الإسلام وتبلغ الرسالة القريب والبعيد، وفيه أنه يستحب للإمام إيذان الناس بالأمور المهمة ليتأهبوا لها.

قوله: «كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ»، قال النووي: قال القاضي: هذا مما يدل على أنهم كلهم أحرموا بالحج؛ لأنه ﷺ أحرم بالحج وهم لا يخالفونه، ولهذا قال جابر: «وما عمل من شيء عملنا به»، ومثله توقفهم عن التحلل بالعمرة ما لم يتحلل حتى أغضبوه واعتذر إليهم، ومثله تعليق عليٍّ وأبي موسى إحرامهما على إحرام النبي ﷺ.

وقوله ﷺ لأسماء بنت عميس: «اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي»: فيه استحباب غسل الإحرام للنفساء، والاستثفار أن تشد في وسطها شيئًا وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها، وفيه صحة إحرام النفساء والحائض وهو مجمع عليه. والله أعلم.

قوله: «فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب القصواء» قال النووي: فيه استحباب صلاة ركعتي الإحرام ويكونان نافلة، هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن البصري أنه استحب كونها بعد صلاة فرض لأنه روي أن هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح.

وقوله: «ثم ركب القصواء» قال ابن قتيبة: كانت

للنبي ﷺ نوق: القصواء والجدعاء والعضباء، وفي حديث آخر غير هذا خطب على ناقة خرماء، وفي حديث ثالث: كانت لرسول الله ﷺ ناقة لا تسبق تسمى «مخضرمة» قال القاضي: وهذا كله يدل على أنها ناقة واحدة خلاف ما قاله ابن قتيبة، ونقل القاضي عن محمد بن إبراهيم التيمي التابعي وغيره أن العضباء والقصواء والجدعاء اسم لناقة واحدة كانت لرسول الله ﷺ.

قوله: «نظرت إلى مد بصري» معناه منتهى بصري، وأنكر بعض أهل اللغة مدّ بصري، وقال: الصواب (مدى بصري)، قال النووي: وليس هو بمنكر، بل هما لغتان والمد أشهر.

قوله: «بين يديه من راكب وماش»: فيه جواز الحج راكبًا وماشيًا، وهو مجمع عليه، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قوله: «وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله». قال النووي رحمه الله: معناه الحث على التمسك بما أُخبركم عن فعله في حجته، وقال الألباني رحمه الله: «فيه إشارة لطيفة إلى أنَّ النبي ﷺ هو الذي يبين للناس ما نزل عليه من القرآن، وأنه هو وحده الذي يعرف تأويله وتفسيره حق المعرفة وأن غيره - حتى من الصحابة - لا يمكنه الاستغناء عن بيانه ﷺ، ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم في هذه الحجة- كغيرها من العبادات- يتتبعون خطاه ﷺ فما عمل من شيء عملوا به». انتهى ملخصًا من حجة النبي ﷺ (ص٥٤).

قوله: «فأهلَّ بالتوحيد» يعني قوله: «لبيك لا شريك لك»، وفيه إشارة إلى مخالفة ما كانت الجاهلية تقوله في تلبيتها من لفظ الشرك، فقد كان المشركون يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك». وبين جابر رضي الله عنه تلبية رسول الله ﷺ فقال: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمدَ والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

قوله: «وأهلَّ الناس بهذا الذي يهلُّون به فلم يردَّ رسول الله ﷺ شيئًا منه ولزم رسول الله ﷺ تلبيته»، نقل النووي عن القاضي عياض أن في ذلك إشارة إلى ما روي من زيادة الناس في التلبية من الثناء والذكر كما روي عن عمر رضي الله عنه في ذلك أنه كان يزيد: «لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوبًا منك مرغوبًا إليك». وعن ابن عمر: «لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل». وعن أنس: «لبيك حقًا تعبدًا ورقًا». قال القاضي: قال أكثر العلماء: المستحب الاقتصار على تلبية رسول الله ﷺ وبه قال مالك والشافعي، ولا بأس بالزيادة، فقد أقرها رسول الله ﷺ.

قوله: «حتى أتينا البيت» فيه بيان أن السنة للحاج أن يدخلوا مكة قبل الوقوف بعرفات ليطوفوا للقدوم وغير ذلك.

قوله: «حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا»، فيه أن المحرم إذا دخل مكة قبل الوقوف بعرفة يسن له طواف القدوم وهو مجمع عليه، وفيه أن الطواف سبعة أشواط، وفيه أن السنة الرَّملُ في الثلاثة الأشواط الأولى والمشي في الأربعة الأخيرة، والرمل عبارة عن إسراع المشي مع تقارب الخطا، وهذا يكون في طواف القدوم في الحج وفي طواف العمرة، وكذلك لاضطباع في هذا الطواف سنة وهو أن يجعل وسط ردائه تحت عاتقه الأيمن ويجعل طرفيه فوق عاتقه الأيسر ويكون عاتقه الأيمن مكشوفًا.

قوله: «ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت». قال النووي: فيه دليل على ما أجمع عليه العلماء أنه ينبغي لكل طائف إذا فرغ من طوافه أن يصلي خلف المقام ركعتي الطواف، فإن لم يكن خلف المقام ففي المسجد وإلا ففي مكة وسائر الحرم، وهما سنة على الصحيح.

قوله: «وكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ، كان يقرأ فما الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾» معنى هذا أن محمد بن علي يروي ما رواه جابر عن قراءة رسول الله ﷺ في ركعتي الطواف، فكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وبعد الفاتحة في الركعة الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

قوله: «ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا»، فيه دليل أنه يستحب للطائف طواف القدوم أو أطواف العمرة إذا فرغ من الطواف وصلاته خلف المقام أن يعود إلى الحجر الأسود فيستلمه، ثم يخرج من باب الصفا ليسعى، واتفقوا على أن هذا الاستلام سنة وليس بواجب ولو تركه لم يلزمه شيء.

قوله: «فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا...﴾» إلى قوله: «... ثم نزل إلى المروة» قال النووي رحمه الله: في هذا اللفظ أنواع من المناسك: منها أن السعي يشترط أن يبدأ من الصفا، ومنها أنه ينبغي أن يرقى على الصفا وهذا الرُّقْي مستحبٌ ليس بشرط ولا واجب، ومنها أنه يسن أن يقف على الصفا مستقبل الكعبة حتى يرى البيت إن أمكنه، ويذكر الله تعالى الذكر المذكور ويدعو، ويكرر الذكر والدعاء ثلاثًا.

قوله: «ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى إذا صعدتا مشى حتى أتى المروة» فيه استحباب السعي الشديد في بطن الوادي وهو ما بين العلمين الأخضرين الآن، فإذا جاوزهما مشى باقي المسافة، وهذا السعي مستحب وليس بواجب وهو الإسراع.

قوله: «فقام سراقة بن مالك جُعْشم فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم لأبدٍ» فيه دليل على أن العمرة دخلت في أشهر الحج لأبد الأبد، وبه أبطل النبي ﷺ قول الجاهلية: «إن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور».

قوله: «فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابًا صبيغًا واكتحلت فأنكر ذلك عليها» فيه إنكار الرجل على زوجه ما يراه من نقص في دينها لأنه ظن أن ذلك لا يجوز فأنكره.

قوله: «إني أهِلُّ بما أهَلَّ به رسول الله ﷺ» فيه جواز تعليق الإحرام بإحرام كإحرام فلان.

قوله: «فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي»، إنما قصروا ولم يحلقوا لأنهم أرادوا أن يبقى شعر يحلق في الحج، فلو حلقوا لم يبق شعر، فكان التقصير هنا أحسن ليحصل في النسكين إزالة شعر.

قوله: «فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فاهلوا بالحج» يوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة.

قوله: «فخطب الناس» فيه استبحبا الخطبة للإمام بالحجيج يوم عرفة في هذا الموضع وهو سنة باتفاق جماهير العلماء.

قوله ﷺ: «إن دماءكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا». معناه متاكدة التحريم شديدته، وفي هذا دليل لضرب الأمثال وإلحاق النظير بالنظير قياسًا قوله: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع...» إلى قوله: «كله» فيه إبطال أفعال الجاهلية وبيوعها وأنه لا قصاص في قتلها، وأن الإمام أو غيره ممن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله، فهو أقرب إلى قبول قوله، وقوله في الربا: «موضوع كله» أي الزائد عن رأس المال.

وقوله ﷺ: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» فيه الوصية بالنساء والحث على مراعاة حقهن ومعاشرتهن بالمعروف، وقوله: «بكلمه الله» أي الإيجاب والقبول، وقيل معناه قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وقيل: المراد كلمة التوحيد، وقيل: المراد بإباحة الله والكلمة قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

وقوله ﷺ: «وألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه» معناه: ألا ياذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلاً أجنبيًا أو امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك. قال النووي: وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل أو امرأة ولا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه.

قوله: «ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف... إلى قوله حتى غاب القرص». فيه تعجيل الذهاب إلى الموقف إذا فرغ من الصلاتين، ومنها الوقوف راكبًا وهو جائز وقيل أفضل، واستحباب الوقوف عند الصخرات، وقد ظن بعض العوام أنه لابد من صعود الجبل وهذا خطأ، فقد وقف النبي ﷺ عند الصخرات وقال كما في آخر الحديث وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف، ففي أي جزء من عرفة وقف الحاج أجزأه. واستحباب استقبال القبلة، وأن يبقى واقفًا حتى تغرب الشمس ويتحقق كمال غروبها ثم يفيض إلى مزدلفة، فلو أفاض قبل الغروب صح وقوفه وحجه ويجبر ذلك بدم، وأما وقت الوقوف فهو ما بين زوال الشمس يوم عرفة إلى طلوع الفجر يوم النحر، فمن حصل بعرفات في جزء من هذا الوقت صح وقوفه، ومن فاته ذلك فاته الحج، وأما قوله: «وجعل حبل المشاة» فحبل المشاة مجتمعهم، وحبل الرْملِ ما طال منه وضَخُمَ.

وقوله: «وقد شنق للقصواء الزمام حتى أن رأسها ليصيب مورك رحله». معنى شنق: ضَمَّ

وضيق والمَوْرك هو الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه. وقولهُ: «ويقول بيده اليمنى أيها الناس السكينة السكينة» أي: الزموا الطمانينة، فإذا وجد فرجة يسرع كما ثبت في الحديث الآخر.

قوله: «حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئًا» فيه فوائد؛ منها أن السنة للدافع من عرفة أن يؤخر المغرب إلى وقت العشاء ثم يجمع بينهما في المزدلفة في وقت العشاء، فلو صلاهما في عرفات في وقت المغرب أو في الطريق أو في موضع آخر وصلى كل واحدة في وقتها جاز جميع ذلك لكنه خلاف الأفضل، وقال أبو حنيفة: يشترط أن يصليهما في مزدلفة وعند مالك لا يصليهما قبل المزدلفة إلا من به عذر أو بدابته بشرط كونها بعد مغيب الشفق، ومنها: أنه يصلي الصلاتين بأذان واحد وإقامتين، ومنها أنه لا يفصل بينهما بنافلة وهذا معنى قوله: «لم يسبح بينهما».

قوله: «ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة» فيه أن المبيت بمزدلفة ليلة النحر نسك وهو واجب على أصح أقوال العلماء يجبر تركه بدم، والسنة أن يبقى في مزدلفة حتى يصلي بها الصبح، إلا الضعفة فيسن لهم الدفع قبل الفجر، ويصدق المبيت على قضاء معظم الليل، قال النووي رحمه الله: والسنة أن يبالغ بتقديم صلاة الصبح في هذا الموضع ويتأكد التبكير بها في هذا اليوم اقتداء برسول الله ﷺ، كما يسن الأذان والإقامة لهذه الصلاة، وكذلك غيرها من صلوات المسافر، وقد تظاهرت الأدلة الصحيحة على الأذان والإقامة لرسول الله ﷺ في السفر كما في الحضر.

قوله: «ثم ركب القصواء... إلى قوله: ودفع قبل أن تطلع الشمس» فيه أن الوقوف عند المشعر الحرام من مناسك الحج وأنه لا يزال واقفًا فيه يدعو ويذكر حتى يسفر الصبح جدًا.

قوله: «وأردف الفضل بن عباس... إلى قوله: حتى وضع رسول اللّه ﷺ يده على وجه الفضل» فيه الحث على غض البصر عن الأجنبيات وغضهن عن الرجال الأجانب، وفيه أن من رأى منكرًا وأمكنه إزالته بيده لزمه إزالته إن لم يكْفِ فيه القول.

وقوله: «حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة». الجمرة التي عند الشجرة هي جمرة العقبة، وفيه أن السنة للحاج إذا دفع من مزدلفة فوصل منى أن يبدأ بجمرة العقبة، وفيه أن الرمي بسبع حصيات، وأن تكون مثل حصى الخذف يعني قدر حبة الفول أو الحمص ونحوها. وفيه أن يسن التكبير مع كل حصاة، وفيه رمي كل حصاة على حدة، ولا يجوز أن يرمي السبع جملة واحدة، وفيه أن السنة أن يقف للرمي في بطن الوادي بحيث تكون منى عن يمينه ومكة عن يساره، وفيه أن يوم النحر فيه رمي جمرة العقبة فقط ولا يشرع رمي غيرها في ذلك اليوم.

وقوله: «ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر» هذا الطواف هو طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج بإجماع المسلمين وأول وقته من بعد نصف ليلة النحر وأفضله بعد رمي جمرة العقبة وذبح الهدي والحلق ويكون ذلك ضحوة يوم النحر، قال النووي :ولا وقت لآخره، وشرطه أن يكون بعد الوقوف بعرفة، فلا يصح قبله، ويجوز تأخيره وجمعه مع طواف الوداع. والله أعلم.

وقوله: «فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم» إلى قوله: «فشرب منه» أما قوله ﷺ: «انزِعوا» فهو بكسر الزاي ومعناه استقوا بالدلاء، وأما قوله: «فأتى بني عبد المطلب» فمعناه أتاهم بعد فراغه من طواف الإفاضة. وقوله: يسقون على زمزم معناه يغرفون بالدلاء ويصبونه في الحياض ونحوها ويجعلونه سبيلاً للناس، وقوله ﷺ: «لولا أن يغلبكم الناس لنزعت معكم» معناه لولا خوفي أن يعتقد الناس أن ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا العمل، وفيه استحباب شرب ماء زمزم.

وقوله ﷺ: «نحرت هاهنا ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف، ووقفت ههنا وجمع كلها موقف» فهذا بيان رفقه ﷺ بأمته وشفقته عليهم في تنبيههم على مصالح دينهم ودنياهم فإنه ﷺ ذكر لهم الأكمل، والجائز، فالأكمل موضع نحره ووقوفه والجائز كل جزء من أجزاء منى وعرفة ومزدلفة.

والحمد لله رب العالمين

وقفات مع حجة النبي ﷺ

للشيخ / سعود الشريم

إمام وخطيب المسجد الحرام

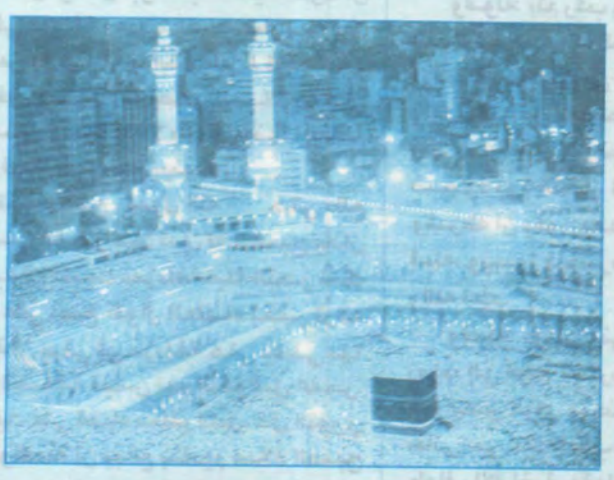

أيّها المسلمون، حجاجَ بيت الله الحرام، الحجَ في الإسلام الأغرَ يُعدّ نقطة ارتكاز في ميدان التجرّد والإيثار والأخوة والمساواة، إضافةً إلى دقة أحكامه الشرعية ومسائله الفقهية كبابٍ من أبواب العبادات. وعامّة أهل العلم مطبقون على أنّ النبي لم يحجّ إلا مرة واحدة، وهي حجة الوداع المشهورة قبل وفاته بأشهر، غيرَ أنّ أحادَ هذه الحجة وصورَها كانت وما تزال منهلاً للاعتبار ومنبَعاً للادّكار ومرتعاً خصباً لجمع الأوابد فيها ولقط النَّثار، المتمثَّل كلّه في الدروس والعبر والمواقف الموقظة للضمير المسلم الحيِّ المهيّأ لفهم سيرة المصطفى واتّباعها حذوَ القذّة بالقذّة، مع اعتقادنا الجازم بأنّ هذه الدروسَ والعبر برمّتها لا يمكن أن تُستوعَب في مجرّد خطبة واحدة أو كلمات عابرة، ولا جرَم فإنّ حجته هي كالبحر من أي النواحي أتيتَه فإنما لجُتُّه المعروفُ وساحلُه البرُّ والتقوى.

عباد الله، الرأفة والرحمةُ والحرص على راحة الغير وسلامته من الأذى أمرٌ منشود بين أهل الإسلام على وجه التأكيد، ولربما ازداد هذا التأكيدُ بوضوح إذا كان الالتقاء الأخوي يسوده جوٌ من أجواء العبادات الروحية، وفي حجة النبي يُسمع التوجيه المبارك من النبي إلى الفاروق رضي الله عنه حينما وجّهه لتقبيل الحجر الأسود، ونهاه أن يزاحم الناسَ، فإن وجد فرجة وإلا فليستقبلْه ويكبّر ولا يزاحم كما روى ذلك الطبراني وغيره. [وقواه الألباني]

وفي هذا الموقفِ يتجلّى حرص النبي ودعوتُه لعموم المؤمنين بالتخلّق باللين والرحمة والرأفة والرفق، وأن لا يكونوا سبباً في الإيذاء أو المزاحمة أو التنغيص لأجواءِ العبادة التي لا تكتمل إلا بالطمانينة والصفاء والبُعد عن كل ما من شأنه تكديرُها وتشويشها.

ومن ذلكم - عباد الله - المزاحمةُ والاقتتال في حال أداء بعض النسك في الحج، كتقبيل الحجر أو رمي الجمرات أو سدّ الطرقات في المساجد والممرات، دون مراعاة لأجواء السكينة في العبادة، أو احترام لشعور الآخرين وحقوقهم، والنبي يقول: «إنّ الرفقَ لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم.

وتحصيل الأجر في النسك - عباد الله - لا يبلغ الكمالَ إلا بالرفق واللين؛ لأن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، كما صحّ بذلكم الخبر عن النبي عند مسلم في صحيحه.

أيها المسلمون، في حجة الوداع المباركة يصعد النبي على الصفا فينظر إلى الكعبة ويستقبلها ثم يوحّد الله ويكبّره ويقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، أنجز وعده، ونصر عبدَه، وهزم الأحزاب وحدَه»، بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه. لقد قال هذه الكلمات في أرض أمن وأمان، في زمن استقرّ فيه سلطانُه وغلبت فيه رسالته، وهو حينما يذكر اللهَ جل وعلا بهذه الألفاظ إبّان النسك فإنما هو بهذا يثير في النفس كوامنَ الإيمان بقوةِ الله وقدرته وأثر الاعتماد عليه وحده ونسبة القوة والغلبة له سبحانه دونَ سواه، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠].

إن النبيَّ حينما يكبّر اللهَ عند كلّ شوط في الطواف ويكبّر الله عند الصفا والمروة ويكبّر الله عند رمي الجمار ويكبّر الله في أيام التشريق ليبعث في النفوس شعورًا عميقاً واستحضاراً لقيمة ذكر الله وتكبيره في حياة المرء المسلم. وإن كلمة "الله أكبر" لهي رأسُ الذكر وعماده، وهي أوّل ما كلِّف به النبي حين أمر بالإنذار: ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر:١-٣].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، إنها لكلمةٌ عظيمة تحيي مواتَ النفس الهامدة، لصوتها هديرٌ كهدير البحر المتلاطم أو هي أشدُّ وقعاً، بل إنها سلاحٌ فتاك في وجوه أعداء الملة ولصوص الأرض، وهي سيفُ الحروب الذي لا يُثلم، كيف لا! وقد ذكر النبي أن مدينةً تفتتح في آخر الزمان بهذه الكلمة، فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «فإذا جاءوها نزلوا - أي: المسلمون -، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحدُ جانبيها، ثمّ يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبُها الآخر، ثم يقولوا في الثالثة: لا إله إلا الله واللهُ أكبر، فيفرَّج لهم، فيدخلوها فيغنموا» الحديث. رواه مسلم.

وعلى صخرات الصفا والمروة - عباد الله - يذكر النبي نعمةَ ربِّه عليه وعلى المؤمنين، ويحمده على أن ردَّ كيد الأحزاب وحده ونصر عبده وأعزَّ جنده، وذلك يوم الخندق الذي قال عنه الباري جل شأنه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً إِذْ جَاءوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب:٩-١١].

إن الإيمانَ بقدرةِ الله وحده وقهره وغلبته هو الشعورُ الذي ينبغي أن يخامرَ قلوبَ المسلمين في كلّ حين وآن، لأن ذلك يثمر الإقدامَ والاعتمادَ عليه وحدَه، ويبعث في النفس خلقَ الشجاعة وعدم الاستخذاء لصروفِ الأيام وتكالب الأعداء وتحزّبهم ضدّ أمة الإسلام، وأنه لا ينبغي أن تكونَ الآذان رَجْعَ صدىً للذين يقولون: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، بل ينبغي أن يزيدَهم ذلك إيماناً مع إيمانهم وتعلقاً بالله ويقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ولا غروَ أنّ من يعتقد أنّ الأجل محدودٌ والرزق مكفول والأشياء بيد الله يقلّبها كيف يشاء فلن يرهبَ الموت والبلى، ولن يخشى الفقر والفاقة، مهما طقطقت أرجلُ الأعداء الحاقدين، بل سيكون حديثه [دائمًا] قولَ الله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا﴾ [التوبة:٥١]، أو قوله: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة:٥٢]، يعنون بذلك كسبَ المعركة بالنصر أو الموت دونَ الظفر بها وهو حسَن كذلك لأنه شهادة في سبيل الله، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص:٦٠].

أما الذين لا إيمانَ لهم بالله ولا بقضائه وقدره بل طغوا وبغوا وعتوا عتوًا كبيراً، فهؤلاء إن انتصروا أو انهزموا فهم بين عذابين: آجل أو عاجل: ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة:٥٢].

وأمثالُ هؤلاء سيحيَون بأفئدة هواء، تلعب بهم

الأحداثُ والظنون، وتقف لهم أشباحُ الموت والمصائب عند كلّ أفق، بل هم: ﴿ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ [التوبة:٥٦، ٥٧].

أيها المسلمون، حجاج بيت الله الحرام، لما غربت شمسُ يوم عرفة، وذهبت الصُفرة قليلاً حتى غاب القرصُ دفع النبي من عرفة، وقد شنق لناقته القصواء الزمامَ حتى لا تسرعَ وهو يقول بيده اليمنى: «أيها الناس، السكينةَ السكينةَ، السكينةَ السكينةَ» [رواه مسلم].

إنَّ هذا الموقفَ الجليل الذي تتسابق فيه النفوس إلى الخير، وهي أينما حلت في عرصات المشاعر فهي في نسك ومع نسك ووسط نسك، غير أن الهدوءَ والطمأنينةَ والتأنيَ والسكينة وعدمَ الاستعجال هو الشعور الإيجابيَ المربّي، وهو الطريقة المباركة لكلّ نجاح أمثل. فالسكينة لا يعدِلها شيء، إذ العجلةُ هي داء المجتمعات، وهي الألغام الموقوتة التي لا تثمِر إلا الأشلاءَ والدَّمار، بل هي من مقتضيات حظوظ النفس البغيضة والجهل بالعواقب وسوءِ المغبّة، وذلك لخروجها عن الإطار المشروع حتى في حال العبادة، يقول الباري سبحانه: ﴿ وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ [الإسراء:١١]، بل حتّى في أدقّ مواضع العبادة يقول النبي : «إن الله يستجيب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يُستجَب لي» رواه البخاري ومسلم.

لقد جاء لفظُ العجلة في القرآن متصرّفا في سبعة وثلاثين موضعاً، كلها على سبيل الذم إلا موضعًا واحداً، وهو قوله جل شأنه: ﴿ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُودات فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ [البقرة:٢٠٣].

فالعجلةُ - عبادَ الله - من الخلال المذمومة في أعمال المرء العبادية والحياتية. والواجب على العاقل أن يلزمَ التأنيَ في الأمور كلها؛ لأنّ الزيادة على المقدار في المبتغى عيبٌ كما أن النقصان فيما يجب من المطالب عجزٌ، ومن لم تصلحه الأناة فلن تنفعَه العجلة، بل تضرُّه، وصفاتُ العَجل أنه يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويحمَد قبل أن يجرّب، ويذمّ بعدما يحمَد. المرءُ العجل تصحبه الندامة، وتخذله السلامة، وقد كانت العربُ في القديم تكنّي العجلة أم الندامات، ففي العجلة الندامةُ، وفي التأني السلامة، ولقد صدق الله: ﴿ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءايَاتِى فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء:٣٧].

ألا فاتقوا الله معاشر المسلمين وحجاج بيت الله الحرام، وخذوا من هدي نبيكم تفلحوا وتحسنوا، ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة:١٩٧].

فيا حجاجَ بيت الله الحرام، لقد تمثّل النبي في حجته بأعظم معاني التيسير والتسهيل والرحمة للعالمين والرأفة بالمؤمنين. ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه حريصاً أشدَّ الحرص على أمته بأن لا يكلَفهم ما لا يطيقون أو أن يفعلوا ما لا يستطيعون، ففي يوم العيد يوم الحجِّ الأكبر ما سئل عن شيء قدِّم ولا أخِر في ذلك اليوم إلا قال: «افعل ولا حرج»، فجاءه رجل وقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح، قال: «اذبح ولا حرج»، وجاءه آخر فقال: لم أشعر فنحرتُ قبل أن أرمي، قال: «ارم ولا حرج»، فما سئل يومئذ عن شيء قدّم ولا أخّر إلا قال: «افعل ولا حرج» حديث متفق على صحته، ويقول : «نحرتُ ها هنا ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم، ووقفت ها هنا وعرفة كلها موقف، ووقفتُ ها هنا وجمعُ كلها موقف» رواه مسلم.

هذا هو ديدنُه ، فلقد كان يأمر دعاتَه ورسلَه باليسر والتيسير، فقد قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفَرا» رواه البخاري.

وهذا التيسيرُ منه هو فيما كان جاريًا وفق الشرع والعدل، لا وفق الأهواء والرغبات، إذ لو كان الأمرُ كذلك لما كان هناك تكليف أصلاً، لأن في التكليف نوعَ مشقة ونَصَب.

فالواجب على الناس بعامة أن يراعوا مثلَ ذلك، فلا يضيّقوا على أنفسهم فيما جعل الله لهم فيه سعَة، كما ينبغي أن لا يضيِّق المرءُ على نفسه في وقتٍ يخصّصه للطواف مثلاً فيزاحم ويشاغب، وقد جعل الله له فسحةً في الوقت ليتخيَّر أيسرَه وأرفقه، وقولوا مثلَ ذلك في الهدي وفي الرمي ونحوهما.

كما أنَّه ينبغي للمفتين والمرشدين في الحجَ أن لا يعسِّروا على الناس بفتاوى لم يصحَّ الدليل فيها، أو بفهم شخصيَ للمسألة دون دليل يجب الرجوع إليه، أو أنْ يتوسَّعوا في فتاوى ليس لهم فيها سعَة، أو أن يستقلَّ بعضُهم برأيٍ أو فتيا تتعلق بمصير كثير من الحجاج دون تروٍّ أو مراعاة لنصوص الشريعة، وبدون مشورةٍ عامة لأهل العلم، لا سيما في موسم الحج لئلا يحدث الخلل بين الحجيج، ويقعوا في التذبذب بين الفتاوى والآراء، فالمفتون مسئولون أمام الله عن فتاواهم، وقد قال النبي : «من أُفتي له بغير علم كان إثمه على من أفتاه» رواه أبو داود.

وإنَّ من الأخطاء المشهورة بين بعض المرشدين عدمَ التفريق بين الدم في ترك الواجب وبين التخيير في فدية الأذى أي: في ارتكاب محظور من محظورات الإحرام عدا الجماع، حيث يفتي بعضهم في الجميع بالدم، وهذا خطأ بيّن، فإن الحاجُ إذا ارتكبَ محظورا عدا الجماع فإنه مخيَّر بين أن يذبح شاةً أو يصوم ثلاثة أيام أو يطعم ستة مساكين بنصِّ حديث النبي . وأما إيجابُ الدم استقلالاً فإنما هو في حق من ترك واجباً من واجبات الحج كترك المبيت بمنى أو ترك رمي الجمار ونحو ذلك كما قرره جمهور أهل العلم.

تقبل الله من الحجاج حجُهم، ويسَّر نسكهم.

نصائح للحجيج قبل سفرهم

بقلم: أبي بكر الحنبلي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

أولاً: إذا عزم المسلم على السفر إلى الحج أو العمرة استحب له أن يوصي أهله وأصحابه بتقوى الله عز وجل وهي: فعل أوامره واجتناب نواهيه، وذلك لقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وثانيًا: ينبغي أن يكتب ما له وما عليه من الدَّيْن ويشهد على ذلك؛ لقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وثالثًا: ويجب عليه المبادرة إلى التوبة النصوح من جميع الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وحقيقة التوبة

أ- أن يقلع عن المعصية.

ب- أن يندم على فعلها.

ج- أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة:

هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حدَّ قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحله منها، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي. وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: وإن كان عنده للناس مظالم أو مال أو عرض ردها إليهم أو تحللهم منها قبل سفره وذلك لحديث أبي هريرة في البخاري: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أوشيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه».

رابعًا: ينبغي أن ينتخب لحجه وعمرته نفقة طيبة من مال حلال، وذلك لحديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام فأنُّ يستجاب له».

خامسًا: ينبغي للحاج الاستغناء عما في أيدي الناس والتعفف عن سؤالهم، وذلك لحديث أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه الثابت في الصحيحين: حيث قال عليه الصلاة والسلام: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يُغْنه الله، ومن يتصبر يصبِّره الله». وقوله ﷺ: «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم».

سادسًا: يجب على الحاج أن يقصد بحجه وعمرته وجه الله والدار الآخرة والتقرب إلى الله بما يرضيه من الأقوال والأعمال في تلك المواضع الشريفة ويحذر كل الحذر من أن يقصد بحجه الدنيا وحطامها، أو الرياء والسمعة والمفاخرة بذلك، فإن ذلك من أقبح المقاصد

وسبب لحبوط العمل وعدم قبوله، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩]، وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال ﷺ فيما يرويه رب العزة عز وجل: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه».

سابعًا: ينبغي له أيضًا أن يصحب في سفره الأخيار من أهل الطاعة والتقوى والفقه في الدين ويحذر من صحبة السفهاء والفساق وذلك لقوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت عند أبي داود، حيث قال ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»، ولحديث أبي هريرة قال ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

ثامنًا: ينبغي له أن يتعلم ما يشرع له في حجه وعمرته ويتفقه في ذلك ويسأل عما أشكل عليه ليكون على بصيرة؛ وذلك لقوله عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وفي الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين».

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين حيث قال عليه الصلاة والسلام: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

تاسعًا: ينبغي أن يلتزم بما هو مستحب في سفره كما ثبت من حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفره، كبَّر ثلاثًا، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بُعْده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر- أي وأن أنظر ما يسوءني في الأهل والمال أي كموت ومرض وتلف- وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون».

تنبيه: معنى «مقرنين»: مطيعين. «الوعثاء» هي الشدة، الكآبة: هي تغير النفس من حزن ونحوه. المنقلب: المرجع.

عاشرًا: ويكثر في سفره من الذكر، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والمعنى: أي ذكر العبد ربه أفضل من كل شيء.

ولقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

ولحديث أبي هريرة الثابت في الصحيحين حيث قال عليه الصلاة والسلام: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في مسلم: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس».

ويكثر في سفره أيضًا من الاستغفار؛ لقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد: ١٩]، ولقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ولحديث شداد بن أوس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

ويكثر في سفره من دعاء الله لقوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وكذلك أيضًا يكثر في سفره من التضرع لله سبحانه وتعالى لقوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

ويكثر في سفره أيضًا من قراءة القرآن وتدبر معانيه: وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤]، ولحديث أبي أمامة رضي الله عنه في مسلم أن النبي ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»، وحديث النواس بن سمعان في مسلم أن النبي ﷺ قال: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما».

وأما تدبر معانيه فلقوله عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

حادي عشر: ويحافظ على الصلوات الخمس في جماعة؛ لقوله عز وجل: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين: قال ﷺ: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا».

وأما جماعة فلحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة».

ثاني عشر: ويحفظ لسانه عن القيل والقال؛ لقوله عز وجل: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، ولحديث أبي هريرة في مسلم برقم (١٧١٥) قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

ويحفظ لسانه عن الخوض فيما لا يعنيه لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

ويحفظ لسانه عن الإفراط في المزاح:

لحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة (أدناها وربض المدينة ما حولها) لمن ترك المراء (الجدال) وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه». والله ولي التوفيق.

بدع الحجّ والعمرة والزيارة

لفضيلة الشيخ:

محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

- توديع الحجاج من قبل بعض الدول بالموسيقى!
- السفر وحده أنسًا بالله تعالى كما يزعم بعض الصوفية.
- السفر من غير زاد لتصحيح دعوة التوكل!
- السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين.
- عقد الرجل على المرأة المتزوجة إذا عزمت على الحج، وليس معها مَحْرَم، يعقد عليها ليكون معها كمحرم. وهذا والذي بعده من أخبث البدع لما فيها من الاحتيال على الشرع والتعرض للوقوع في الفحشاء كما لا يخفى.
- مؤاخاة المرأة للرجل الأجنبي ليصير بزعمها محرمًا لها، ثم تعامله كما تعامل محارمها.
- صلاة المسافر ركعتين كلما نزل منزلاً، وقوله: اللهم أنزلني منزلاً مباركًا وأنت خير المنزلين.
- قراءة المسافر في كل منزل ينزله سورة الإخلاص، إحدى عشرة مرة، وآية الكرسي مرة، وآية: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ مرة.
- قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك، مثل المواضع التي يقال: إن فيها أثر النبي ﷺ، كما يقال في صخرة بيت المقدس، ومسجد قبليّ دمشق، وكذلك مشاهد الأنبياء والصالحين.

• بدع الإحرام والتلبية وغيرها:

- اتخاذ نعل خاصة بشروط معينة معروفة في بعض الكتب.
- الإحرام قبل الميقات.
- الاضطباع عند الإحرام.
- التلبية جماعة في صوت واحد.
- قصد الجبال والبقاع التي حول مكة، مثل جبل حراء، والجبل الذي عند منى، الذي يقال: إنه كان فيه الفداء، ونحو ذلك.
- قصد الصلاة في مسجد عائشة بالتنعيم.

• بدع الطواف:

- الغسل للطواف.
- قوله: نويت بطوافي هذا الأسبوع كذا وكذا.
- رفع اليدين عند استلام الحجر كما يرفع للصلاة.
- المزاحمة على تقبيله، ومسابقة الإمام بالتسليم في الصلاة لتقبيله.
- قولهم عند استلام الحجر: اللهم إيمانًا بك، وتصديقًا بكتابك.
- وضع اليمنى على اليسرى حال الطواف.
- القول قبالة باب الكعبة: اللهم إن البيت بيتك، والحرم حرمك، والأمن أمنك، وهذا مقام العائذ بك من النار، مشيرًا إلى مقام إبراهيم عليه السلام.

• التزام أدعية معينة مثل:

١ - الدعاء عند الركن العراقي: اللهم إني أعوذ بك من الشك والشرك، والشقاق والنفاق، وسوء الأخلاق، وسوء المنقلب في المال والأهل والولد.

٢ - الدعاء تحت الميزاب: اللهم أظلني في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك... إلخ.

٣ - الدعاء في الرَّمَل: اللهم اجعله حجًا مبرورًا، وذنبًا مغفورًا، وسعيًا مشكورًا، وتجارة لن تبور، يا عزيز يا غفور.

٤ - وفي الأشواط الأربعة الباقية: رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

- تقبيل الركن اليماني.
- تقبيل الركنين الشاميين والمقام واستلامهما.
- التمسح بحيطان الكعبة والمقام.
- قصد الطواف تحت المطر، بزعم أن من فعل ذلك غفر له ما سلف من ذنبه.
- التبرك بالمطر النازل من ميزاب الرحمة من الكعبة.
- اهتمامهم بزمزمة لحاهم، وزمزمة ما معهم من النقود والثياب لتحل بها البركة.

بدع السعي بين الصفا والمروة:

- الوضوء لأجل المشي بين الصفا والمروة بزعم أن من فعل ذلك كتب له بكل قدم سبعون ألف درجة.
- تكرار السعي في الحج أو العمرة.
- صلاة ركعتين بعد الفراغ من السعي.
- استمراره في السعي بين الصفا والمروة، وقد أقيمت الصلاة حتى تفوته صلاة الجماعة.
- التزام دعاء معين إذا أتى مِنى كالذي في «الإحياء»: «اللهم هذه منى فامنن عليّ بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك»، وإذا خرج منها: «اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط». إلخ.

بدع عرفة:

- الوقوف على جبل عرفة في اليوم الثامن ساعة من الزمن احتياطًا خشية الغلط في الهلال.
- إيقاد الشمع الكثير ليلة عرفة بمنى.
- إيقاد النيران والشموع على جبل عرفات ليلة عرفة.
- الاغتسال ليوم عرفة.
- الصعود إلى جبل الرحمة في عرفات.
- التطوع بين صلاة الظهر والعصر في عرفة.
- ما استفاض على ألسنة العوام أن وقفة عرفة يوم الجمعة تعدل اثنتين وسبعين حجة.
- الاغتسال للمبيت بمزدلفة.
- التزام الدعاء بقوله إذا بلغ مزدلفة: اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها ألسنة مختلفة، نسألك حوائج مؤتنفة... إلخ. ما في «الإحياء».
- ترك المبادرة إلى صلاة المغرب فور النزول في المزدلفة، والانشغال عن ذلك بلقط الحصى.
- صلاة سنة المغرب بين الصلاتين، أو جمعها إلى سنة العشاء والوتر بعد الفريضتين كما يقول الغزالي.
- إحياء هذه الليلة.
- الوقوف بالمزدلفة بدون مبيت.

بدع الرمي:

- الغسل لرمي الجمار.
- غسل الحصيات قبل الرمي.
- التزام الزيادة على التكبير قولهم: رغمًا للشيطان وحزبه، اللهم اجعل حجي مبرورًا، وسعيي مشكورًا، وذنبي مغفورًا، اللهم إيمانًا بكتابك، واتباعًا لسنة نبيك.
- رمي الجمرات بالنعال وغيرها.

بدع الذبح والحلق:

- ذبح بعضهم هدي التمتع بمكة قبل يوم النحر.
- الاقتصار على حلق بعض الرأس.
- الدعاء عند الحلق بقوله: «الحمد لله على ما هدانا، وأنعم علينا، اللهم هذه ناصيتي بيدك فتقبل مني،... إلخ».

بدع متنوعة:

- الخروج من المسجد الحرام بعد طواف الوداع على القهقرى.
- تبييض بيت الحجاج بالبياض ونقشه بالصور، وكتب اسم الحاج وتاريخ حجه عليه.

بدع الزيارة في المدينة المنورة

- قصد قبره بالسفر، وشد الرحال إليه.
- إرسال العرائض مع الحجاج والزوار إلى النبي ﷺ وتحميلهم سلامهم إليه.
- الاغتسال قبل دخول المدينة المنورة.
- استقبال بعضهم القبر بغاية الخشوع واضعًا يمينه على يساره كما يفعل في الصلاة، قريبًا منه أو بعيدًا عند دخول المسجد أو الخروج منه.
- قصد استقبال القبر أثناء الدعاء.
- قصد القبر للدعاء عنده رجاء الإجابة.
- التوسل به ﷺ إلى الله في الدعاء.
- طلب الشفاعة وغيرها منه.
- وضعهم اليد تبركًا على شباك حُجرة قبره ﷺ وحلف بعضهم بذلك بقوله: وحق الذي وضعت يدك على شباكه، وقلت: الشفاعة يا رسول الله.
- تقبيل القبر أو استلامه أو ما يجاور القبر من عود ونحوه.
- قصد الصلاة تجاه قبره ﷺ.
- الجلوس عند القبر وحوله للتلاوة والذكر.
- التزام الكثيرين الصلاة في المسجد القديم وإعراضهم عن الصفوف الأولى التي في زيادة عمر وغيره.
- قصد شيء من المساجد والمزارات التي بالمدينة وما حولها بعد مسجد النبي ﷺ إلا مسجد قُباء.
- تلقين من يعرفون بـ «المزوِّرين» جماعات الحجاج بعض الأذكار والأوراد عند الحجرة أو بعيدًا عنها بالأصوات المرتفعة، وإعادة هؤلاء ما لُقنوا بأصوات أشد منها.
- زيارة البقيع كل يوم، والصلاة في مسجد فاطمة رضي الله عنها.
- تخصيص يوم الخميس لزيارة شهداء أحد.
- الخروج من المسجد النبوي على القهقرى عند الوداع.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل ذلك عونًا للمسلمين على اقتفاء أثر سيد المرسلين، والاهتداء بهديه. وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

أخطاء يرتكبها بعض الحجاج

لفضيلة الشيخ:

محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فأكثر الأخطاء عن الحجاج ناتجة عن تقليد العامة بعضهم بعضًا دون برهان، ونحن نبيِّن بعون الله تعالى السنة في بعض الأعمال التي يكثر فيها الخطأ مع التنبيه على الأخطاء، سائلين الله أن يوفقنا، وأن ينفع بذلك إخواننا المسلمين إنه جواد كريم.

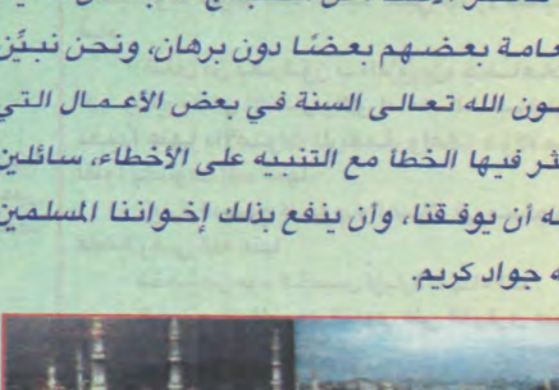

الإحرام والأخطاء فيه

ثبت في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ وقَّت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، وقال: «فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة».

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ وقَّت لأهل العراق ذات عرق. [رواه أبو داود والنسائي].

فهذه المواقيت التي وقَّتها رسول الله ﷺ حدود شرعية توقيفية موروثة عن الشارع لا يحل لأحد تغييرها أو التعدي فيها، أو تجاوزها بدون إحرام لمن أراد الحج أو العمرة، فإن هذا من تعدي حدود الله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وثبت في الصحيحين أيضًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ويهل أهل الشام من الجحفة، ويهل أهل نجد من قرن». وهذا خبر بمعنى الأمر.

والإهلال: رفع الصوت بالتلبية، ولا يكون إلا بعد عقد الإحرام.

فالإحرام من هذه المواقيت واجب على من أراد الحج أو العمرة إذا مرَّ بها أو حاذاها، سواء أتى من طريق البر أو البحر أو الجو.

فإذا كان من طريق البرِّ نزل فيها إن مرَّ بها أو فيما حاذاها إن لم يمر بها، وأتى بما ينبغي أن يأتي به عند الإحرام من الاغتسال وتطييب بدنه ولبس ثياب إحرامه، ثم يُحرم قبل مغادرته.

وإن كان من طريق الجو اغتسل عند ركوب الطائرة وتطيب ولبس ثياب إحرامه حال وقوفها، ثم أحرم قبل سيرها، وإن كانت لا تقف عند محاذاة الميقات اغتسل

وتطيب ولبس ثياب إحرامه قبل أن تحاذيه ثم يحرم إذا حاذته.

وإن كان من طريق الجو اغتسل عند ركوب الطائرة وتطيب ولبس ثوب إحرامه قبل محاذاة الميقات، ثم أحرم قبيل محاذاته، ولا ينتظر حتى يحاذيه؛ لأن الطائرة تمرُّ به سريعة فلا تعطي فرصة، وإن أحرم قبله احتياطًا فلا بأس لأنه لا يضره.

والخطأ الذي يرتكبه بعض الناس أنهم يمرون من فوق الميقات في الطائرة أو من فوق محاذاته ثم يؤخرون الإحرام حتى ينزلوا في مطار جدة، وهذا مخالف لأمر النبي ﷺ وتعدّ لحدود الله تعالى.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما فُتح هذان المصران- يعني البصرة والكوفة- أتوا عمر رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن النبي ﷺ حدّ لأهل نجد قرنًا وإنه جورٌ عن طريقنا، وإن أردنا أن نأتي قرنًا شقّ علينا، قال: «فانظروا إلى حذوها من طريقكم». فجعل أمير المؤمنين أحد الخلفاء الراشدين ميقات من لم يمر بالميقات إذا حاذاه، ومن حاذاه جوًا فهو كمن حاذاه برًا ولا فرق.

فإذا وقع الإنسان في هذا الخطأ فنزل جدة قبل أن يحرم فعليه أن يرجع إلى الميقات الذي حاذاه في الطائرة فيحرم منه، فإن لم يفعل وأحرم من جدة فعليه عند أكثر العلماء فدية يذبحها في مكة ويفرّقها كلها على الفقراء فيها، ولا يأكل منها ولا يهدي منها لغني لأنها بمنزلة الكفارة.

الطواف والأخطاء الفعلية فيه

ثبت عن النبي ﷺ أنه ابتدأ الطواف من الحجر الأسود في الركن اليماني الشرقي من البيت، وأنه طاف بجميع البيت من وراء الحجر.

وأنه رمل في الأشواط الثلاثة الأولى فقط في الطواف أول ما قدم مكة.

وأنه كان في طوافه يستلم الحجر الأسود ويقبّله، واستلمه بيده وقبّلها، واستلمه بمحجن كان معه وقبّل المحجن وهو راكب على بعيره، وطاف على بعيره، فجعل يشير إلى الركن- يعني الحجر- كلما مرَّ به.

وثبت عنه أنه كان يستلم الركن اليماني.

واختلاف الصفات في استلام الحجر إنما كان- والله أعلم- حسب السهولة، فما سهل عليه منها فعله، وكل ما فعله من الاستلام والتقبيل والإشارة إنما هو تعبد لله تعالى وتعظيم له لا اعتقاد أن الحجر ينفع أو يضر، وفي الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقبّل الحجر ويقول: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبّلك ما قبلتك».

الطواف والأخطاء القولية فيه

ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يكبر الله تعالى كلما أتى على الحجر الأسود.

وكان يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وقال: «إنما جُعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله».

والخطأ الذي يرتكبه بعض الطائفين في هذا تخصيص كل شوط بدعاء معين لا يدعو فيه بغيره، حتى إنه إذا أتمَّ الشوط قبل تمام الدعاء قطعه ولو لم يبق عليه إلا كلمة واحدة؛ ليأتي الدعاء الجديد للشوط الذي يليه، وإذا أتم الدعاء قبل تمام الشوط سكت.

ولم يرد عن النبي ﷺ في الطواف دعاء مخصص لكل شوط، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وليس فيه- يعني الطواف- ذكر محدود عن النبي ﷺ لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه، بل يدعو فيه بسائر الأدعية الشرعية، وما يذكره كثير من الناس من دعاء معين تحت الميزاب ونحو ذلك فلا أصل له.

وعلى هذا فيدعو الطائف بما أحب من خيري الدنيا والآخرة، ويذكر الله تعالى بأي ذكر مشروع من تسبيح أو تحميد أو تهليل أو تكبير أو قراءة قرآن.

ومن الخطأ الذي يرتكبه بعض الطائفين أن يأخذ من هذه الأدعية المكتوبة فيدعو بها وهو لا يعرف معناها، وربما يكون فيها أخطاء من الطابع أو الناسخ تقلب المعنى رأسًا على عقب، وتجعل الدعاء للطائف دعاء عليه، فيدعو على نفسه من

حيث لا يشعر، وقد سمعنا من هذا العجب العجاب، ولو دعا الطائف ربه بما يريده ويعرفه فيقصد معناه لكان خيرًا وأنفع، ولرسول الله ﷺ أكثر تأسيًا وأتبع.

ومن الخطأ الذي يرتكبه بعض الطائفين أن يجتمع جماعة على قائد يطوف بهم ويلقنهم الدعاء بصوت مرتفع، فيتبعه الجماعة بصوت واحد فتعلوا الأصوات وتحصل الفوضى، ويتشوش بقية الطائفين فلا يدرون ما يقولون؛ وفي هذا إذهاب للخشوع وإيذاء لعباد الله تعالى في هذا المكان الآمن، وقد خرج النبي ﷺ على الناس وهم يصلون ويجهرون بالقراءة، فقال النبي ﷺ: «كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض في القرآن». رواه مالك في الموطأ، قال ابن عبد البر: وهو حديث صحيح.

ويا حبذا لو أن هذا القائد إذا أقبل بعضهم على الكعبة وقف بهم وقال: افعلوا كذا، قولوا كذا، ادعوا بما تحبون، وصار يمشي معهم في المطاف حتى لا يخطئ منهم أحد فطافوا بخشوع وطمأنينة يدعون ربهم خوفًا وطمعًا بما يحبونه وما يعرفون معناه ويقصدونه، وسلم الناس من أذاهم.

صعود الصفا والمروة والدعاء فوقهما والسعي بين العلمين والخطأ في ذلك

ثبت عن النبي ﷺ أنه حين دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، ثم رَقِيَ عليه حتى رأى الكعبة فاستقبل القبلة ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو ما شاء أن يدعو، فوحَّد الله وكبَّره وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل ماشيًا، فلما انصبت قدماه في بطن الوادي وهو ما بين العلمين الأخضرين سعى حتى إذا تجاوزهما مشى حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا.

والخطأ الذي يفعله بعض الساعين هنا أنهم إذا صعدوا الصفا والمروة استقبلوا الكعبة فكبَّروا ثلاث تكبيرات يرفعون أيديهم ويؤمنون بها كما يفعلون في الصلاة ثم ينزلون، وهذا خلاف ما جاء عن النبي ﷺ، فإما أن يفعلوا السنة كما جاء إن تيسر لهم، وإما أن يتركوا ذلك ولا يحدثوا فعلاً لم يفعله النبي ﷺ.

ومن الخطأ الذي يفعله بعض الساعين أنهم يسعون من الصفا إلى المروة، أعني أنهم يشتدون في المشي ما بين الصفا والمروة كله، وهذا خلاف السنة، فإن السعي ما بين العلمين فقط والمشي في بقية المسعى، وأكثر ما يقع ذلك إما جهلاً من فاعله أو محبة كثير من الناس للعجلة والتخلص من السعي. والله المستعان.

الوقوف بعرفة والخطأ فيه

ثبت عن النبي ﷺ أنه مكث يوم عرفة بنمرة حتى زالت الشمس، ثم ركب ثم نزل فصلى الظهر والعصر ركعتين ركعتين جمع تقديم بأذان واحد وإقامتين، ثم ركب حتى أتى موقفه فوقف وقال: «وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف». [مسلم (١٢١٨)]).

والأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج:

١- أنهم ينزلون خارج حدود عرفة ويبقون في منازلهم حتى تغرب الشمس ثم ينصرفون منها إلى مزدلفة من غير أن يقفوا بعرفة، وهذا خطأ عظيم يفوت به الحج، فإن الوقوف بعرفة ركن لا يصح الحج إلا به، فمن لم يقف بعرفة في وقت الوقوف فلا حجَّ له؛ لقول النبي ﷺ: «الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك». [أبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠٤٤)، وابن ماجه (٣٠١٥)]).

وسبب هذا الخطأ الفادح أن الناس يغتر بعضهم ببعض؛ لأن بعضهم ينزل قبل أن يصلها ولا يتفقد علاماتها؛ فيفوت على نفسه الحج ويغر غيره.

ويا حبذا لو أن القائمين على الحج أعلنوا للناس بوسيلة تبلغ جميعهم وبلغات متعددة، وعهدوا إلى المطوفين بتحذير الحجاج من ذلك؛ ليكون الناس على بصيرة من أمرهم، ويؤدوا حجَّهم على الوجه الأكمل الذي تبرأ به الذمة.

٢- أنهم ينصرفون من عرفة قبل غروب الشمس، وهذا حرام؛ لأنه خلاف سنة النبي ﷺ حيث وقف إلى أن غربت الشمس وغاب قرصها،

ولأن الانصراف من عرفة قبل الغروب عمل أهل الجاهلية.

٣- أنهم يستقبلون الجبل- جبل عرفة- عند الدعاء ولو كانت القبلة خلف ظهورهم أو على أيمانهم أو شمائلهم، وهذا خلاف السنة، فإن السنة استقبال القبلة كما فعل النبي ﷺ.

رمي الجمرات والخطأ فيه

ثبت عن النبي ﷺ أنه رمى جمرة العقبة وهي الجمرة القصوى التي تلي مكة بسبع حصيات ضحى يوم النحر، يكبر مع كل حصاة، كل حصاة منها مثل حصا الخذف أو فوق الحمص قليلاً، وفي سنن النسائي من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما- وكان رديف النبي ﷺ من مزدلفة إلى منى، قال: فهبط- يعني النبي ﷺ- محسرًا وقال: «عليكم بحصا الخذف الذي ترمى به الجمرة». قال: والنبي ﷺ يشير بيده كما يخذف الإنسان.

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما- قال يحيى: لا يدري عوف عبد الله أو الفضل- قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو واقف على راحلته: «هات القط لي». قال: فلقطت له حصيات هن حصا الحذف فوضعهن في يده، فقال: «بأمثال هؤلاء» مرتين، وقال بيده، فأشار يحيى أنه رفعها وقال: «إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين».

وعن أم سليمان بن عمرو الأحوص رضي الله عنهما قالت: رأيت النبي ﷺ يرمي جمرة العقبة من بطن الوادي يوم النحر وهو يقول: «يا أيها الناس، لا يقتل بعضكم بعضًا، وإذا رميتم الجمرة فارموها بمثل حصا الخذف». رواه أحمد.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يُسْهِل(١) فيقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً ويدعو ويرفع يديه، ثم يرمي الوسطى ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل ويقوم مستقبل القبلة فيقوم طويلاً ويدعو ويرفع يديه ثم يرمي جمرة العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها، ثم ينصرف فيقول هكذا رأيت النبي ﷺ يفعله.

وروى أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إنما جُعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله».

والأخطاء التي يفعلها بعض الحجاج:

١- اعتقادهم أنه لا بد من أخذ الحصا من مزدلفة، فيتعبون أنفسهم بلقطها في الليل واستصحابها في أيام منى، حتى إن الواحد منهم إذا ضاع حصاه حزن حزنًا كبيرًا، وطلب من رفقته أن يتبرعوا له بفضل ما معهم من حصا مزدلفة، وقد عُلم مما سبق أنه لا أصل لذلك عن النبي ﷺ، وأنه أمر ابن عباس رضي الله عنهما بلقط الحصا له وهو واقف على راحلته، والظاهر أن هذا الوقوف كان عند الجمرة إذ لم يُحفظ أنه وقف بعد مسيره من مزدلفة قبل ذلك، ولأن هذا وقت الحاجة إليه فلم يكن ليأمر بلقطها قبله لعدم الفائدة فيه وتكلف حمله.

٢- اعتقادهم أنهم برميهم الجمار يرمون الشياطين، ولهذا يطلقون اسم الشياطين على الجمار فيقولون: رمينا الشيطان الكبير أو الصغير، أو رمينا أبا الشياطين يعنون به الجمرة الكبرى جمرة العقبة، ونحو ذلك من العبارات التي لا تليق بهذه المشاعر، وتراهم أيضًا يرمون الحصا بشدة وعنف وصراخ وسبٍّ وشتم لهذه الشياطين على زعمهم، حتى شاهدنا من يصعد فوقها يبطش بها ضربًا بالنعل والحصى الكبار بغضب وانفعال، والحصا تصيبه من الناس وهو لا يزداد إلا غضبًا وعنفًا في الضرب، والناس حوله يضحكون ويقهقهون كان المشهد مشهد مسرحية هزلية، شاهدنا هذا قبل أن تُبنى الجسور وترفع أنصاب الجمرات، وكل هذا مبني على هذه العقيدة أن الحجاج يرمون شياطين، وليس لها أصل صحيح يُعتمد عليه، وقد علمتَ مما سبق الحكمة في مشروعية رمي الجمار، وإنه إنما شُرح لإقامة ذكر الله عز وجل، ولهذا كان النبي ﷺ يكبر على إثر كل حصاة.

٣- رميهم الجمرات بحصا كبيرة وبالحذاء والخفاف والأخشاب، وهذا خطأ كبير مخالف لما شرعه النبي ﷺ لأمته بفعله وأمره حيث رمى ﷺ بمثل حصا الخذف، وأمر أمته أن يرموا بمثله،

---

(١) يُسْهِل : أي يطلب المكان السهل.

وحذَرهم من الغلو في الدين، وسبب هذا الخطأ الكبير مما سبق من اعتقادهم أنهم يرمون شياطين.

٤- تقدمهم إلى الجمرات بعنف وشدة لا يخشعون لله تعالى، ولا يرحمون عباد الله، فيحصل بفعلهم هذا من الأذية للمسلمين والإضرار بهم والمشاتمة والمضاربة ما يقلب هذه العبادة وهذا المشعر إلى مشهد مشاتمة ومقاتلة، ويخرجها عما شُرعت من أجله وعما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ففي المسند عن قدامة بن عبد الله بن عمار قال: رأيت النبي ﷺ يوم النحر يرمي جمرة العقبة على ناقة صبهاء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك. رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

٥- تركهم الوقوف للدعاء بعد رمي الجمرة الأولى والثانية في أيام التشريق، وقد علمتَ أن النبي ﷺ كان يقف بعد رميها مستقبل القبلة رافعًا يديه يدعو دعاء طويلًا، وسبب ترك الناس لهذا الوقوف الجهل بالسنة أو محبة كثير من الناس للعجلة والتخلص من العبادة.

ويا حبذا لو أن الحاج تعلم أحكام الحج قبل أن يحج ليعبد الله تعالى على بصيرة ويحقق متابعة النبي ﷺ، ولو أن شخصًا أراد أن يسافر إلى بلد لرأيته يسأل عن طريقها حتى يصل إليها عن دلالة، فكيف بمن أراد أن يسلك الطريق الموصلة إلى الله تعالى وإلى جنته، أفليس من الجدير به أن يسأل عنها قبل أن يسلكها ليصل إلى المقصود.

٦- رميهم الحصى جميعًا بكف واحدة، وهذا خطأ فاحش، وقد قال أهل العلم: إنه إذا رمى بكف واحدة أكثر من حصاة لم يُحتسب له سوى حصاة واحدة، فالواجب أن يرمي الحصا واحدة فواحدة كما فعل النبي ﷺ.

٧- زيادتهم دعوات عند الرمي لم ترد عن النبي ﷺ مثل قولهم: اللهم اجعلها رضا للرحمن وغضبًا للشيطان، وربما قال ذلك وترك التكبير الوارد عن النبي ﷺ، والأولى الاقتصار على الوارد عن النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقص.

٨- تهاونهم برمي الجمار بأنفسهم، فتراهم يوكّلون من يرمي عنهم مع قدرتهم على الرمي ليسقطوا عن أنفسهم معاناة الزحام ومشقة العمل، وهذا مخالف لما أمر الله تعالى به من إتمام الحج، حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فالواجب على القادر على الرمي أن يباشره بنفسه ويصبر على المشقة والتعب، فإن الحج نوع من الجهاد لابد فيه من الكلفة والمشقة فليتق الحاج ربَّه وليتم نسكه كما أمر الله تعالى به ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

طواف الوداع والأخطاء فيه

ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أُمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خُفِّف عن الحائض». وفي لفظ لمسلم عنه قال: «كان الناس ينصرفون في كل وجه، فقال النبي ﷺ: لا ينفرنَّ أحدٌ حتى يكون آخر عهده بالبيت». ورواه أبو داود بلفظ: «آخر عهده الطواف بالبيت».

وفي الصحيحين عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: شكوت إلى النبي ﷺ أني أشتكي، فقال: «طوفي من وراء الناس وأنتِ راكبة»، فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت وهو يقرأ بـ: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾، وللنسائي عنها أنها قالت: يا رسول الله، والله ما طفت طواف الخروج، فقال: «إذا أقيمت الصلاة فطوفي على بعيرك من وراء الناس».

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب، ثم ركب إلى البيت فطاف به، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن صفية رضي الله عنها حاضت بعد طواف الإفاضة فقال النبي ﷺ: «أحابستنا هي؟» قالوا: إنها قد أفاضت وطافت بالبيت، قال: «فلتنفر إذن».

وفي الموطأ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه قال: لا يصدرن أحد من الحاج حتى يطوف بالبيت، فإن آخر النسك الطواف بالبيت. وفيه عن يحيى بن سعيد أن عمر رضي الله عنه ردَّ رجلاً من مر الظهران لم يكن ودَّع البيت حتى ودع.

بسير الأعلام

الإمام القدوة

مسروق بن الأجدع

إعداد / **مجدي عرفات**

اسـمــه ونسـبــه: هو مسروق بين الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مرة بن سلمان بن معمر ويقال: سلامان بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وادعة بن عمر بن عامر الهمداني، يقال: إنه سُرِقَ وهو صغير ثم وُجد فسمي مسروقًا، وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ.

شيوخه: حدث عن أبي بن كعب وعمر، وروى عن أم رومان ومعاذ بن جبل، وخباب وعائشة وابن مسعود وعثمان وعلي وعبد الله بن عمرو وابن عمر ومعقل بن سنان والمغيرة بن شعبة وغيرهم.

الرواة عنه: روى عنه الشعبي وإبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب، وعبد الله بن مرة، وأبو وائل، وأبو الضحى، وأبو إسحاق، وأبو الأحوص الجشمي، وأنس بن سيرين، وأبو الشعثاء المحاربي وآخرون.

ثناء العلماء عليه:

قال مرة الهمداني وأبو السفر: ما ولدت همدانية مثل مسروق.

وقال: كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح وكان شريح أعلم بالقضاء من مسروق، وكان شريح يستشير مسروقًا، وكان مسروق لا يستشير شريحًا.

قال إبراهيم: كان أصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة: علقمة والأسود وعبيدة ومسروقًا والحارث بن قيس وعمرو بن شرحبيل.

قال ابن المديني: أنا ما أقدم على مسروق أحدًا.

قال ابن عيينة: بقي مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه أحد.

قال يحيى بن معين: مسروق ثقة لا يُسأل عن مثله.

قال العجلي: تابعي ثقة كان أحد أصحاب عبد الله الذين يُقرئون ويُفتون وكان يصلي حتى ترم قدماه.

قال ابن سعد: كان ثقة له أحاديث صالحة.

قال أبو نعيم: ومنهم العالم بربه، الهائم بحبه، الذاكر لذنبه، في العلم معروف، وبالضمان موثوق، ولعباد الله معشوق، أبو عائشة المسمى بمسروق.

قال ابن حجر: ثقة فقيه عابد

مخضرم.

من أحواله وأقواله:

قال الشعبي: خرج مسروق إلى البصرة إلى رجل يسأله عن آية فلم يجد عنده فيها علمًا، فأخبر عن رجل من أهل الشام، فقدم علينا هاهنا ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها.

قال أبو الضحى: كان مسروق يقوم فيصلي كأنه راهب، وكان يقول لأهله: هاتوا كل حاجة لكم فاذكروها لي قبل أن أقوم إلى الصلاة.

قال إبراهيم بن المنتشر: كان مسروق يرخي الستر بينه وبين أهله ويقبل على صلاته ويخليهم ودنياهم.

قال أبو إسحاق: حج مسروق فلم ينم إلا ساجدًا على وجهه حتى رجع.

وعن امرأته قالت: كان مسروق يصلي حتى تورَّم قدماه، فربما جلست أبكي مما أراه يصنع بنفسه.

عن مسروق قالت عائشة: يا مسروق، إنك من ولدي وإنك لمن أحبهم إليَّ، فهل لك علم بالمُخْدَج(١).

قال إبراهيم بن المنتشر: أهدى خالد بن عبد الله بن أسيد عامل البصرة إلى عمي مسروق ثلاثين ألفًا وهو يومئذ محتاج فلم يقبلها.

قال أبو إسحاق السبيعي: زوج مسروق بنته بالسائب بن الأقرع على عشرة آلاف لنفسه يجعلها في المجاهدين والمساكين.

قال أبو الضحى: غاب مسروق عاملاً على السلسلة سنتين ثم قدم فنظر أهله في خرجه فأصابوا فأسًا، فقالوا: غبت ثم جئتنا بفأس بلا عود، قال: إنا لله استعرناها نسينا نردها.

وقال الكلبي: شلت يد مسروق يوم القادسية وأصابته آمّة.

قال الشعبي: غشي على مسروق في يوم صائف وكانت عائشة قد تبنته فَسَمّى بنته عائشة، وكان لا يعصى ابنته شيئًا، قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه أفطر واشرب، قال: ما أردت بي يا بنية؟ قالت: الرفق، قال: يا بنية، إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

قال إبراهيم بن المنتشر: كان مسروق لا يأخذ على القضاء أجرًا، ويتأول هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾.

وقال أبو الضحى: سُئل مسروق عن بيت شعر، فقال: أكره أن أجد في صحيفتي شعرًا.

قال مسروق: لأن أفتي يومًا بعدل وحق، أحب إليَّ من أن أغزو سنة.

قال: ما بقي شيء يُرغب فيه إلا أن نعفر وجوهنا في التراب، وما آسى على شيء إلا السجود لله تعالى.

قال: كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله.

قال: من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين وعلم الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة.

قال الذهبي: هذا قاله مسروق على المبالغة لعظم ما في السورة من جُمل أمور الدارين، ومعنى قوله: فليقرأ الواقعة أي يقرأها بتدبر وتفكر وحضور ولا يكن كمثل الحمار يحمل أسفارًا.

قيل له: أبطأت عن عليٍّ وعن مشاهده، قال: أرأيتم لو أنه حين صفّ بعضكم لبعض فنزل ملك فقال: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أكان ذلك حاجزًا لكم؟ قالوا: نعم، قال: فوالله لقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم وإنها لمحكمة ما نسخها شيء.

أخذ بيد ابن أخ له فارتقى به على كناسة بالكوفة قال: ألا أريك الدنيا، هذه الدنيا أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، ركبوها فأمضوها (أخلفوها وأبلوها) واستحلوا فيها محارم وقطعوا فيها أرحامهم.

قال رحمه الله: ما من شيء خير للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدنيا.

كان يتمثل:

ويكفيك مما أغلق الباب دونه
وأُرخي عليه الستر ملح وجردق
ماء فرات بارد ثم تغتدي
تعارض أصحاب الثريد الملبق
تجشأ إذا ما تجشوا كأنما
غذيت بألوان الطعام المفتق

قال: إني أحسن ما أكون ظنًا حين يقول لي الخادم: ليس في البيت قفيز ولا درهم.

قال: إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها يتذكر ذنوبه ويستغفر منها.

قال: لقد اختلفت إلى عبد الله بن مسعود من رمضان إلى رمضان ما أغبه يومًا.

قال أبو الأحوص: سمعت ابن مسعود يقول لمسروق: يا مسروق، أصبح يوم صومك دهينًا كحيلاً وإياك وعبوس الصائمين، وأجب دعوة من دعاك من أهل ملتك ما لم يظهر لك منه معزاف أو مزمار، وصلّ على من مات منهم، ولا تقطع عليه الشهادة، واعلم أنك لو تلقى الله بأمثال الجبال ذنوبًا خير لك من أن تلقاه- كلمة ذكرها- وأن تقطع عليه الشهادة، يا مسروق وصلّ عليه وإن رأيته مصلوبًا أو مرجومًا فإن سئلتَ فأحل عليٍّ وإن سئلتُ أحلتُ على النبي ﷺ.

قال الشعبي: ما كان مسروق يشير على شريح بشيء إلا أطاعه.

قال مسروق: لا تنشر بزك إلا عند من يبغيه، أي لا تنشر علمك إلا عند من ينتفع به.

قال أبو وائل: لما احتضر مسروق قال: أموت على أمر لم يسنه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، أما إني لست أدع صفراء ولا بيضاء إلا ما في سيفي هذا فبيعوه وكفنوني به.

قال مسروق: ما عملت عملاً أخوف عندي أن يدخلني النار من عملكم هذا، وما بي أن أكون ظلمت مسلمًا ومعاهدًا دينارًا ولا درهمًا ولكن بي هذا الحبل الذي لم يسنه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، فقيل له: ما حملك على الدخول فيه؟ قال: لم يدعني شريح وزياد والشيطان حتى أدخلوني فيه.

وفاته: توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وستين، وقيل ثلاث وستين.

المراجع:

-تاريخ دمشق لابن عساكر.
- حلية الأولياء.
- سير أعلام النبلاء.
تقريب التهذيب.

هامش:

(١) المخدج اليد: أي يده ناقصة الخلق قصيرة.

من فضائل عرفة

إعداد: صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام والصلاة والسلام على سيد الأنام سيدنا محمد ﷺ، فالله الرحيم الرحمن يعطي عباده هدايا ومنحًا في بعض الأزمان ليجتهدوا في العبادة ويثقلوا الميزان والفوز بالجنان، يقول ﷺ: «إن لله في أيام الدهر لنفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدًا». [صحيح الجامع].

من هذه الأيام:

العشر الأول من ذي الحجة: عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه». قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجلاً خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء». [صحيح الجامع ٩٦٩].

سبب امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيره، وأفضل عشر ذي الحجة هو يوم عرفة. [فتح الباري ٢/٥٣٣].

قال الإمام القرطبي: يوم عرفة فضله عظيم وثوابه جسيم، يكفر الله تعالى الذنوب العظام، ويضاعف فيه الصالح من الأعمال.

يوم عرفة هو التاسع من ذي الحجة.

من فضائل يوم عرفة

١- صيامه يكفر ذنوب سنتين.

ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة، فقال: يكفر السنة الماضية والباقية.

سؤال: كيف تغفر ذنوب لم تأت بعد؟

يقول الحافظ ابن حجر: إن المغفرة تستدعي سبق شيء يغفر والمتأخر من الذنوب لم يات فكيف يغفر؟

والجواب عن ذلك ياتي في قوله ﷺ: حكاية عن الله عز وجل أنه قال: في أهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، محصل الجواب أنه قيل: إنه كناية عن حفظهم من الكبائر فلا تقع منهم كبيرة بعد ذلك، وقيل: إن معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة وبهذا أجاب جماعة من العلماء ومنهم الماوردي في الكلام على حديث عرفة وأنه يكفر ذنوب سنتين سنة ماضية وسنة آتية. [فتح الباري ٤/٢٩٦].

٢- العتق من النيران:

ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة إنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء».

وفي مسند الإمام أحمد بسند صحيح قوله ﷺ: «فلم يُر أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة».

قال الحافظ ابن رجب: يوم عرفة يوم العتق من النار فيعتق الله تعالى فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها، فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدًا لجميع المسلمين في جميع أمصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة. [لطائف المعارف].

سؤال: كيف تخلص رقبتك من النار؟

الجواب: أ- تحقيق كلمة الإخلاص:

ففي صحيح مسلم عن عمرو بن ميمون قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل».

قال الإمام النووي: ثبت أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا من النار فقد حصل بعتق رقبة واحدة تكفير لجميع الخطايا مع ما يبقى له من زيادة عتق الرقاب الزائدة على الواحدة.

قال الحافظ ابن حجر: وصف كون الرقبة من

بني إسماعيل لأنهم أشرف من غيرهم من العرب فضلاً عن العجم. [فتح الباري ٢٠٩/١١].

أكثر رحمك الله من كلمة التوحيد ولكن بشرط: يحصل هذا الثواب الجسيم لمن قام بحق هذه الكلمات فاستحضر معانيها بقلبه، وتأملها بفهمه.

قال ابن رجب: تحقيق كلمة الإخلاص يوجب عتق الرقاب. [لطائف المعارف ٣٩٦].

ب- احذر الموانع:

هناك موانع تحجز وتصد مغفرة الذنوب والعتق في يوم عرفة منها التكبر والاختيال والإصرار على الكبائر وعدم حفظ الجوارح من الوقوع في المعاصي.

جـ- اشتر نفسك:

إذا كنت تطمع في العتق فاشتر نفسك من الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة:١١١]. من كرمت عليه نفسه، هان عليه كل ما يبذل من افتكاكها من النار.

٣- إجابة الدعاء:

قال النبي ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». [الصحيحة ١٥٠٣].

هذا يوم إجابة الدعاء فأكثر فيه رحمك الله من الأدعية الجامعة مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وجاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال :كان أكثر دعاء النبي ﷺ: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

قال الحافظ ابن كثير: جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فإن كل حسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا، وأما الحسنة في الآخرة فدخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. [تفسير ابن كثير ٢٤٣/١].

٤- إكمال الحج:

قال رسول الله ﷺ: «الحج عرفة».

[صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٨٨٩]

قال الشيخ صفوت نور الدين رحمه الله: الحديث دال على أن من لم يدرك عرفة قبل طلوع الفجر من يوم النحر فإنه لا حج له، وعليه أن يتم عمرة ليتحلل من إحرامه ويحج من قابل.

قال الحافظ ابن رجب: يكمل الحج بيوم عرفة والوقوف فيه بعرفة فإنه ركن الحج الأعظم.

٥- إكمال الدين في يوم عرفة:

ورد في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال: أي آية؟ قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه: نزلت ورسول الله ﷺ قائم بعرفة يوم الجمعة.

قال ابن رجب يوم عرفة له فضائل متعددة منها أنه يوم إكما الدين وإتمام النعمة.

٦- الله يُقسِم بيوم عرفة:

قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [البروج: ١- ٣].

عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، وأن الشاهد يوم الجمعة، وأن المشهود يوم عرفة، ويوم الجمعة ذخرة الله لنا».

سؤال: لماذا يقسم الله بمخلوقاته؟

الإجابة: لحكم كثيرة في المقسم به والمقسم عليه ومن هذه الحكم لفت النظر إلى مواضع العبرة في هذه الأشياء بالقسم والحث على تأملها حتى يصلوا إلى وجه الصواب فيها. [فقه السنة ٦٨/٢]

والله أعلم

واحة التوحيد..

من نور كتاب الله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي موسى الأشعري قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقال أحد الرجلين: أمِّرْنا على بعض ما ولاك الله، وقال الآخر مثل ذلك فقال: «إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله، ولا أحداً حرص عليه»

[البخاري ١٣/١١٢]

ثم نقل ابن حجر معلقًا على هذا الحديث قال: قال المهلب: «الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الأموال والفروج وعظم الفساد في الأرض بذلك ووجه الندم أنه قد يقتل أو يعزل أو يموت فيندم على الدخول فيها، ويستثنى من ذلك من تعين عليه كأن يموت الوالي ولا يوجد بعده من يقوم بالأمر غيره [فتح الباري (١٣/١٣٥)]

من أقوال السلف

عن سفيان قال: إذا رأيت الرجل يحرص على أن يؤمر فأخره. [شرح السنة البغوي (١٠/٥٨)]

قال ابن مسعود: عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة.

[شرح السنة (١٠/٥٤)]

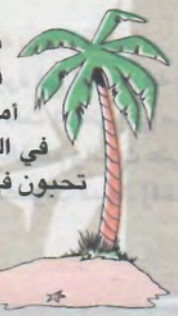

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح. [مجموع الفتاوى (٢/٣٨٢)]

حكم ومواعظ

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «إن الطمع فقر وإن الياس غنى، إنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم».

[نضرة النعيم (٨/٣١٧٢)]

قال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله - «عجيب من ذي عقل يقول في دعائه: اللهم لا تشمت بي الأعداء، ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له» قيل: وكيف ذلك؟ قال: «يعصي الله ويشمت به في القيامة كل عدو».

[الداء والدواء ص٦٠]

من نصائح السلف

قال سفيان الثوري: عليك بالورع يخفف الله حسابك ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك.

من درر العلماء في آيات الصفات

نقل البغوي تعليق أبي سليمان الخطابي على حديث النبي ﷺ «المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ....» الحديث. قال: قال أبو سليمان الخطابي: ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليدين شمال، لأن الشمال على النقص والضعف، وقوله «كلتا يديه يمين» هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

[شرح السنة للبغوي (١٠/٦٤)]

هل تصلح المرأة للقضاء؟!

قال البغوي: اتفقوا على أن المرأة لا تصلح أن تكون إمامًا ولا قاضيًا، لأن الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد، والقيام بأمور المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات، والمرأة عورة لا تصلح للبروز، وتعجز لضعفها عند القيام بأكثر الأمور ولأن المرأة ناقصة والإمامة والقضاء من كمال الولايات، فلا يصلح لها إلا الكامل من الرجال ولا يصلح لهما الأعمى لأنه لا يمكنه التمييز بين الخصوم وما روي أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين فإنما استخلفه في إمامة الصلاة دون القضاء والأحكام» [شرح السنة (١٠/٧٧)]

السلف يخافون الإمارة

عن عبد الله بن عمر قال: قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف، فقد استخلف من هو خير مني، أبو بكر، وإن أترك، فقد ترك من هو خير مني، رسول الله ﷺ فأثنوا عليه، فقال: راغب وراهب، وددت أني نجوت منها كفافًا لا لي ولا عليّ لا أتحملها حيًا وميتًا. [البخاري ١٣/١٧٧]

مخالفات تقع فيها النساء

أن تنظر المرأة إلى المرأة فتصفها لأحد محارمها بغير غرض شرعي كالنكاح، والرسول ﷺ يقول: «ولا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها»

[متفق عليه]

متناقضات في حياتنا

ينكر على من تمسك بسنة النبي ﷺ في أخلاقه وأفعاله ومأكله ومشربه وملبسه وشعره وتنعله، فيقال على من فعل ذلك هذا تزمت أو تعصب أو تخلف أو رجعية.

ولا ينكر على من قلد ممثلا أو لاعبًا مشهورًا مسلم كان أو غير مسلم في ملبسه وشعره وكلامه وأفعاله بل يقال لمن فعل ذلك إنه رقي وتقدم وتحضر، فالخير كل الخير في اتباع هدي نبيكم ﷺ فتمسكوا به وإلا تخسروا.

أخطاء في الطهارة

الزيادة في عدد غسل أعضاء الوضوء أو بعضها أكثر من ثلاث مرات. وهذه تحدث من بعض الناس فيعتقد أنه كلما أكثر من غسل أعضاء وضوئه كلما زاد أجره وهذا تلبيس من الشيطان لأن العمل إذا لم يكن مشروعًا فهو مردود كما قال النبي ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

[متفق عليه]

أخطاء في العقيدة والتوحيد

الرقى والتمائم

لحديث رسول الله ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك».

والرقى المشروعة هي: ما كان بالقرآن الكريم وأسماء الله وصفاته وما ورد عن رسول الله ﷺ في الأدعية والمأثورات، وأما ما كان بغير لسان العربية وبكلام أو أرقام أو خطوط لا تعلم ولا تفهم فهو غير مشروع.

والتمائم هي: ما يعلق على الأولاد أو الدواب أو السيارات أو البيوت في خرز أزرق أو غيره أو عظم أو خيوط أو حذاء قديم أو حدوة فرس. وكل هذا باطل لاعتقاد أن هذه تدفع العين والبلاء وتحفظ الإنسان وهذا توكل على غير الله وإخلال بعبادة الإنسان لربه.

القول السديد في الرد على

إعداد: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

ذكر بعض دلائل هذه الأقسام

ولهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد دلائل كثيرة وبراهين عديدة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا تحصر، يعرفها من لديه أدنى إلمام بنصوص الكتاب والسنة، بل إن من يحفظ فاتحة الكتاب وسورة الناس يجد فيهما ما يشفي ويكفي من وضوح دلالة ونصوع برهان على هذا التقسيم، بل هو أكبر الحقائق الشرعية المقررة في الكتاب والسنة.

١- فمن أدلة توحيد الربوبية: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، وقوله ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الرعد: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢].

٢- ومن أدلة توحيد الألوهية: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾؛ لأنَّ الله معناه المألوه المعبود، وقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، وقوله: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ [الزمر: ١٤، ١٥]، وقوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]، وغيرها من الآيات.

٣- ومن أدلة توحيد الأسماء والصفات: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨]، وقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وآخر سورة الحشر، وغيرها من الآيات.

الآيات الجامعة لأقسام التوحيد الثلاثة

ومن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة: قول الله تبارك وتعالى في سورة مريم: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله مبينًا دلالة الآية على ذلك: « اشتملت- أي الآية- على أصول عظيمة: على توحيد الربوبية وأنه تعالى رب كلِّ شيء وخالقه ورازقه ومدبره، وعلى توحيد الألوهية والعبادة وأنه تعالى الإله المعبود، وعلى أنَّ ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده، ولهذا أتى فيه بالفاء في قوله: ﴿ فَاعْبُدْهُ ﴾ الدالة على السبب أي: فكما أنه رب كل شيء فليكن هو المعبود حقًا فاعبده، ومنه: الاصطبار لعبادته تعالى وهو جهاد النفس وتمرينها وحملها على عبادة الله تعالى فيدخل

من أنكر تقسيم التوحيد

في هذا أعلى أنواع الصبر وهو الصبر على الواجبات والمستحبات والصبر عن المحرمات والمكروهات، بل يدخل في ذلك الصبر على البليات؛ فإنَّ الصبر عليها وعدم تسخطها والرضى عن الله بها من أعظم العبادات الداخلة في قوله: ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾، واشتملت على أن الله تعالى كامل الأسماء والصفات، عظيم النعوت جليل القدر، وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي، بل قد تفرَّد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات ».

القرآن كله مقرر لهذا التوحيد

وفي بيان دلالة القرآن على أنواع التوحيد يقول العلامة ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر أنَّ كلَّ طائفة تُسمِّي باطلها توحيدًا: « وأمَّا التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه فوراء ذلك كلِّه، وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه في صفاته وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه. وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جدَّ الإفصاح، كما في أول سورة الحديد وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة الم تنزيل السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦٤]، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول سورة يونس ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام. وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولًا كليًا: كلُّ آية في القرآن فهي متضنة للتوحيد شاهدة له داعية إليه؛ فإنَّ القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يُعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمَّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإمَّا خبر عن أهل الشرك ومافعل بهم في الدنيا من النَّكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كلُّه في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ توحيد، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: توحيد، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ توحيد، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ توحيد، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، الذين أنعم الله عليهم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد». [مدارج السالكين ٣/٤٤٩، ٤٥٠].

وقال الشوكاني رحمه الله في مقدمة كتابه القيم « إرشاد الثقات إلى إتقان الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات »: « واعلم أن إيراد الآيات القرآنية على إثبات كلِّ مقصد من هذه المقاصد، وإثبات اتفاق الشرائع عليها، لا يحتاج إليه من يقرأ القرآن العظيم؛ فإنه إذا أخذ المصحف الكريم وقف على ذلك في أيِّ موضع شاء، ومن أيِّ مكان أحب، وفي أيِّ محل منه أراد، ووجده مشحونًا به من فاتحته إلى خاتمته».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

حكم الله في المال هو الرشاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

شرع الله سبحانه لنا شرعًا كاملاً جاء فيه الحُكم الحكيم والفصل في كل أمر، وكان من أوضح ذلك أنْ حَكَم الله سبحانه في الأموال وكان ذلك الحكم يشمل كل شيء من بيع وشراء وقرض وصدقة وإحسان وشمل الزكاة والنفقة والكفارات والديات وغير ذلك، إلا أن كثيرًا من الناس شعر بقيود الشرع كأنها تكبله وتغله ولا تطلق يده، فإمَّا أن يقبلها لأنها الشرع بغير قناعة نفس، وهذا أمارة الإيمان وإن لم يكن هو كمال الإيمان لأن العمل بالمشروع إيمان، أما كمال الإيمان فألا يجدوا حرجًا في أنفسهم ويسلموا تسليمًا كاملاً.

ومنهم من أخذ يحتال على الشرع ليخرج لنفسه مخارج يوهم نفسه ومن حوله أنه بذلك يوافق الشرع فكان بيع العينة من صور ذلك التحايل فجاء الشرع بتحريمه صريحًا: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

ومن صور ذلك التحايل على الخمر بتخليلها، فجاء الشرع بتحريمه ليبين بذلك أن الحيلة لابد أن تكون مشروعة لا ممنوعة، ومنهم من جاء صريحًا في محادته لله ومخالفته لشرعه فتعامل بالمعاملات المخالفة للشرع، وهؤلاء على قسمين:

القسم الأول: علموا الحرام فوقعوا فيه، فهؤلاء عصاة، بل أهل كبائر ينبغي لهم أن يتوبوا ويرجعوا عن معاصيهم.

القسم الثاني: قالوا: لا يصلح لنا قانون كهذا فليس للشرع أن يحكم أموالنا وعصرنا، فكانوا مثل كفار مدين قوم شعيب لما قالوا: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾، فهؤلاء خرجوا من الإسلام بما اقترفوا ودخلوا في الكفر بما اعتقدوا.

ونريد أن ننظر إلى انطلاقات الأمم اليوم في المال والتعامل فيه وتيسيره، ولكن بنظرة فاحصة فنتدبر ما آل إليه الناس اليوم من صور التعامل المادي، حيث ضاع الشيخ في شيخوته لما لم يستطع كسبًا وأهدرت الكرامات وتخلى الإنسان عن إنسانيته في التعامل المادي الموجود، وبلغ ذلك أوجه في الأمم الرأسمالية، ومن أدلة ذلك أن امرأة أخذت تبحث عن بناتها اللاتي ذهبن إلى ألمانيا وتغيبن عنها بضعة عشر عامًا وهم يعلمون ببحثها عنهن والحياة المادية تصرفهم أن يرقوا لها أو يخبروها بمكانهن، فلما عثرت عليهن خفت إليهن وطارت، فلما وجدتهن انقضت عليهن بجنون تشبع نفسها وتملأ قلبها وتغترف لنفسها حبًا وحنانًا وشوقًا وشغفًا، لكنهن قابلن كل ذلك بفتور شديد وعدم مبالاة بحالها، ولما سئل الجميع من حولهن قالوا: العمل شغلنا، المادة أخذت حياتنا، فليس في حياتنا وقت لحنان أبوة ولا أمومة ولا بنوة.

ثم بنظرة بعد ذلك إلى تيسيرات مادية وضعت في البيع والشراء صار الإنسان في هذه البلاد يخرج من بيته فيشد بصره وسمعه أساليب الدعاية في البيع والشراء والمعروضات ويغريه وفرة التيسيرات في البيوع المحرمة ليقتني تلك السلع فمن لا يملك

وما سواه هو الضلال

بقلم فضيلة الشيخ:

محمد صفوت نور الدين .رحمه الله.

يستطيع أن يبيع ومن لا مال معه يمكنه أن يشتري؛ لأن الشراء ليس بمال، إنما هو ببطاقة يحملها أو بصك «شيك» يحرره ويتعهد للبنك بالسداد وإن لم يكن يملك، يشتري ما يريد ثم يجتهد في تحصيل المال من أجل السداد، فيضاعف الوقت والعمل والجهد للحصول على المال، يجتهد ويركض في سبيل الكسب بما يزيد عن طاقته فيؤدي ذلك بالضرورة إلى أن يقصر في بعض أعماله، خاصة في وظيفته الأصلية وعمله الرئيسي، وذلك لأنه يواصل العمل بالليل والنهار فيستيقظ متاخرًا او ينام عن بعض عمله أو يكثر السهو والخطا في عمله فيخرج عمله وإنتاجه معيبًا ناقصًا فينذره المشرف على عمله ويتكرر الإنذار مرارًا وقد يستمر الأمر حتى يبلغ إلى حد أن يفصل من عمله الأساسي فصلاً مسببًا بإنذارات سابقة وأخطاء متكررة فيحرم من اجر كان يتقاضاه فيؤدي ذلك بالتبعية إلى عجزه عن سداد الأقساط والوفاء بالإلتزامات فيدخل في سلسلة من المشكلات كان سببها الإفراط في التيسيرات والإكثار من التطلعات والجري وراء سراب زائل من أعمال الدنيا ومتاعها الفاني، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدينا عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة في هذا الباب.

ينتهي الأمر بصاحب هذه التطلعات والديون المتراكمات أن يعجزَ عن السداد، فإذا عجز عن سداد أجرة مسكنه طُرد منه، ووجد نفسه في الطريق ليس له مأوى ولا يجد من قريب يحنو عليه أو صديق يرفق به، ذلك لأن الحياة المادية قد أفقدت الجميع الشعور بتلك الروابط، فالمادة والشهوة هي التي تربط بين الناس، أما العوامل الإنسانية فلا وجود لها بينهم البتة.

فإذا وجد الأرض قد تنكرت له وتكالبت المشكلات عليه طار صوابه وهام في الطرقات على وجهه لا يجد من معين أو مساعد، لا الشفقة تدفع أحد إليه؛ لأن القوم يعبدون المال، فليس للإحسان في حياتهم نصيب، ولا لأواصر القرابة والمحبة عندهم مكان.

ففي الشتاء القارس والثلج المتراكم في الشوارع وإلى جوار ناطحات السحاب في أرقى بلاد الدنيا رأيت هؤلاء الذين يهيمون على وجوههم كالحة أجسامهم لم يمسها الماء منذ سنوات طويلة، قذرة ملابسهم، لم تغسل منذ وضعت على أجسامهم، الجو قاس في برودته والطرقات مزدحمة بالمارة فيها ولا ينتبه إليهم أحد.

إذا رأيت ذلك عرفت أن ضوابط الشرع الشريف في التعامل في المال قد بينت الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، وقد وضعت سبل الإحسان وبينت ما يباح عند الاضطرار، ضوابط الشرع في المال قد عرفت لكل صاحب حق حقه، لكن القوم لم يلتفتوا إلى شرع، ولم يكترثوا بدين، فوقعوا فيما وقعوا فيه جزاء التفريط الذي فرطوه.

فهيا إلى شرع رب العالمين ننقذ أنفسنا من كل الضوائق، فالله أرحم بالعالمين من أنفسهم وأمهاتهم والناس أجمعين. والله ولي التوفيق.

وقفات مع القصة
في كتاب الله

قصة موسى عليه السلام

القسم الثاني (١٢)

قصة قارون مع موسى عليه السلام

• الحلقة الأخيرة •

إعداد/ **عبد الرازق السيد عيد**

الحمد لله الذي بيده الملك والملكوت، أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وأرسل موسى بآياته وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين من بعثه ربه رحمة للعالمين.. وبعد:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٧٦- ٨٣].

أخي القارئ الكريم، تحدثنا في العدد السابق عن لمحات من قصة نبي الله موسى عليه السلام مع قارون، وفي هذا العدد نتكلم بشيء من التفصيل، وذلك من خلال سورة القصص، بعد أن بسط الله سبحانه وتعالى ذكر القصة في هذه السورة الكريمة.

أولا: مدخل:

١- علاقة قصة قارون بقصة موسى واضحة: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾، لكن هل وقعت القصة قبل عبور موسى وقومه البحر أو بعد العبور؟ الراجح- والله أعلم- أنها كانت بعد عبور موسى وقومه، وهذا الذي يؤكده سياق القصة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

٢- أما مناسبة ذكر القصة وحال المسلمين في مكة؛ فقد جاءت تسلية للنبي ﷺ والذين آمنوا معه الذين كانوا يواجهون طغيان

المشـركين من أهل مكة أصحاب الجاه والسلطان والمال، كما جاءت الآيات تهديدًا ووعيدًا لهؤلاء المستكبرين إنْ أصروا على كُفرهم واستكبارهم أن يصيبهم من العذاب مثل ما أصاب قارون ومن سبقه من أهل الظلم والبغي وحينئذ لا يجدون لهم وليًا ولا نصيرًا؛ وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ثانيًا: عرض مجمل لأحداث القصة من خلال فهم الآيات الكريمة السابقة يتمثل في الخطوات التالية:

أ- طغيان قارون على قومه:

تبدأ الآيات الكريمة بتحديد نسب قارون والتعريف بشخصه وأنه من قوم موسى، وعلى قول أكثر المفسرين هو ابن عم موسى، وقيل: كان من الماهرين في قراءة التوراة العالمين بها، وكان من السبعين الذين اختارهم الله للميقات، لكنه نافق بعد ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم تُقَرِّرُ الآيات مَسْلك قارون مع قومه إذ بغى عليهم؛ وأنَّ سبب هذا البغي هو الثراء العريض والمال الكثير الذي آتاه الله قارون، وبلغ من كثرة هذا المال أنَّه كنوز، وأن هذه الكنوز من كثرتها تَتْعَبُ المجموعةُ من الرجال بل تعجز عن حمل مفاتحها.

وكانت صور بغي قارون كثيرة ومتعددة أشار إليها جميعًا علماء التفسير، فقال شهر بن حوشب: كان بغيه: «أن زاد في طول ثوبه شبرًا»، قال القرطبي تعليقًا على ذلك: وفي الحديث: «لا ينظر الله إلى من جرَّ إزاره بطرًا». رواه البخاري، وقال الضحاك: بغيه: كفره بالله عز وجل، وقال قتادة: بغيه بالتكبر على قومه واستخفافه بهم؛ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حسد موسى على الرسالة وحسد هارون على الإمامة.

وقال يحيى بن سلام وابن المسيب: كان قارون غنيًا عاملاً لفرعون على بني إسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم، وكان منهم، وكل ذلك من مظاهر بغيه- والله أعلم.

نصيحة أهل الصلاح:

ب- لما رأى الصالحون- من قوم موسى ومن أقارب «قارون» ما عليه قارون من فساد وطغيان قد يؤدي به إلى الهلاك نصحوه نصيحةً أمينة، نصيحةَ من يعلم عواقب الأمور؛ فقالوا له: «لا تفرح» أي لا تتكبر وتغتر بمالك ولا تكن من الغافلين، واعترف بالنعمة لمسديها وهو الله سبحانه واعرف حقَّه فيها بوضعها فيما أمرك وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك، ولا تنس نصيبك من الحلال المباح في الدنيا.

ج- جحود النعمة والكفر بالمنعم سبحانه:

لم يقبل قارون نصيحة قومه ولم يتراجع عن غيِّه بل تمادى في عناده وبغيه ورد على الناصحين بقوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ وهذه الجملة على وجازتها تحمل شتى معاني الفساد والإفساد، فقارون كفر بالنعمة وجحد المنعم سبحانه، وحاصل هذه الجملة هو الفساد بجميع صوره؛ لأنه سيتصرف في المال باعتباره صاحب السلطان المطلق فيه، فهو الذي جمعه بجهده وعلمه وهو صاحب التصرف فيه بلا وازع من شَرْع أو دين، وإنما حسبما يمليه عليه هواه، وسينظر للناصحين نظر سوء، ويتهمهم بما ليس فيهم.

د- موقف الناس من الفتنة:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ خرج قارون يستعرض قوته وأمواله في موكب زينة، وكأنه يقول بلسان الحال، إذا كان موسى أُعطى التوراة والرسالة فأنا أملك كل هذه الأموال وأستطيع أن أفعل بها ما أشاء، خرج يتحدى

موسى والصالحين من قومه، ويفتن العامة.

وانقسم الناس أمام هذا الموقف إلى فريقين: فريق ثابت على الحق لا يتزعزع إيمانه بمثل هذه الأمور وهؤلاء ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، وهؤلاء لم يفتنوا.

ويقابلهم فريق من ضعاف الإيمان والعلم وهم الذين فُتِنُوا بما عند قارون وغرَّهم مظهر الزينة الزائلة وتمنوا أن يكون لهم مثل ما أوتى قارون وأعلنوا ذلك صراحة بلسان المقال، فحذرهم الذين أوتوا العلم وقالوا لهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾، وهذا قولٌ يدل على الرسوخ في العلم واليقين بما عند الله.

هـ- العقوبة العاجلة:

وعندما تبلغ الزينة ذروتها يضع الله سبحانه حدًا للفتنة وللعلو والاستكبار في الأرض بغير الحق، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾.

وهكذا أمر الله الأرض فابتلعته وابتلعت داره وذهبت زينتُه في لحظات، وهوى في بطن الأرض التي علا فيها واستطال فوقها جزاءً وفاقًا وذهب ضعيفًا عاجزًا لا ينصره أحد ولم ينفعه ماله الذي تكبَّر به.

هكذا طارت أحلام الذين تمنَّوا مكانه بالأمس، الذين طارت قلوبهم وتهاوت نفوسهم وتمنوا لأنفسهم مثل ما أوتي قارون ويحسبون أنه أوتي حظًا عظيمًا يشتهيه المحرومون.

و- العبرة بعد الغفلة:

وهكذا أفاق الذين أسكرتهم نشوة حبِّ المال، نعم أفاقوا من غفلتهم بعد رؤية الخسف الذي عاجل الجبارُ سبحانه به قارون، وهو شيء لم يكونوا يتوقعونه؛ نعم ربما رأى بعضهم أو جميعهم غرق فرعون في البحر هو وجنده لكنهم لم يكونوا يتخيَّلون أن الأرض الجامدة تبلتع هي أيضًا أعداء الله، لم يكونوا يدركون أن لله جنودَ السماوات والأرض، ويرسل الله جنده على من يشاء عندما يشاء.

انتبه الذين تمنوا مكانه بالأمس على المشهد الرهيب الذي تنخلع من هوله القلوب، ووقفوا يحمدون الله سبحانه وتعالى أن منَّ عليهم ونجَّاهم من الخسف، وبعد أن أخذ العجبُ بألبابهم أدركوا أن الله يبتلي عباده بالخير والشر، وأن الثراء العريض ليس دليلاً على رضا الله عن العبد؛ لأن الله سبحانه من سننه الكونية أن يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء، ابتلاءً وفتنة، فهي أسباب أخرى لا علاقة لها بالرضا والغضب، فإن الرضا والغضب يتوقف على أسباب أخرى وضحها الله في كتابه وعلى لسان رسله الأكرمين، ولو كان الثراء وحده دليل الرضا ما أخذ الله قارون هذا الأخذ الشديد العنيف، وعلموا كذلك أن الكافرين لا يفلحون أبدًا، وإن بدا ظاهرهم في الدنيا يأخذ بألباب ضعاف الإيمان؛ لذا ناسب أن التعقيب من رب العزة والجلال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

بهذا نكون قد انتهينا من بعض الدروس المستفادة من قصة قارون مع موسى، ولنا وقفة أخرى مع الدروس المستفادة من القصص القرآني، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مراحل تنزيل القرآن وكيفياتها

إعداد: مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد أنزل الله القرآن على رسولنا محمد ﷺ لهداية البشرية، فكان نزوله حدثًا جللاً يؤذن بمكانته لدى أهل السماء وأهل الأرض، ومما لا خلاف فيه أن العلم بنزول القرآن مهم للغاية لأنه أساس للإيمان به وأنه كلام الله سبحانه وتعالى.

ويستفاد من الأخبار الصحيحة والآراء الموثوق بها من العلماء أن القرآن الكريم نزل من لدن الحق تبارك وتعالى على ثلاث مراحل أو ثلاث تنزلات:

التنزيل الأول

هو صدور القرآن وانبثاقه من الذات الإلهية إلى اللوح المحفوظ وذلك أمر من الأمور الغيبية الأزلية التي جاء بها الخبر الصادق ولزمنا الإيمان بها دون علم بكيفيتها إذ لا يعلم كيفية ذلك إلا الله تعالى، وكان هذا التنزيل جملة لا مفرقًا، والله تعالى يقول: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾.

والظاهر أن تنزل القرآن إلى اللوح المحفوظ كان بطريقة وفي وقت لا يعلمها إلا الله، وكان جملة لا مفرقًا فوجب الإيمان به مع تفويض علم كيفيته إلى الله عز وجل. وربما يسأل سائل ويقول: ما الحكمة في تنزل القرآن إلى اللوح المحفوظ؟

والجواب: أن الحكمة في هذا التنزل ترجع إلى الحكمة العامة من وجود اللوح المحفوظ نفسه، حيث جعله الله سجلاً جامعًا لكل ما قضى الله وقدَّر وكل ما كان وما يكون فهو شاهد ناطق ومظهر من أروع المظاهر الدالة على عظمة الله سبحانه وتعالى.

أما التنزيل الثاني

فكان من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فقد دلت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة توصف بأنها مباركة أخذًا من آية الدخان، وتسمى ليلة القدر أخذًا من آية القدر، وهي من ليالي شهر رمضان أخذًا من آية البقرة، وإنما قلنا ذلك جمعًا بين هذه النصوص في العمل بها، ومعلوم بالأدلة القاطعة أن القرآن أنزل على النبي ﷺ مفرقًا لا في ليلة واحدة، بل على مدى سنين عديدة، فيتعين أن يكون هذا النزول الذي نوهت به الآيات الثلاث نزولاً آخر غير النزول على النبي ﷺ، وقد جاءت الأخبار الصحيحة مبينة لمكان هذا النزول، وأنه بيت العزة من السماء الدنيا، فعن ابن عباس أنه قال: «فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على

النبي ﷺ».

وعن ابن عباس أيضًا قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في أثر بعض.

وقد ذكر الحافظ السيوطي في كتابه الإتقان روايات عن ابن عباس بهذا المعنى وقال: أسانيدها كلها صحيحة، وهذا لا يقوله ابن عباس بمحض الرأي والاجتهاد، بل له حكم المرفوع. وإذا كانت هذه الآيات لا تنافي بينها فهي لا تتنافى في الواقع الثابت من أنه نزل على النبي ﷺ في غير شهر رمضان وليلة القدر؛ لأن ذلك في نزوله إلى السماء الدنيا كما علمت، وهذا في نزوله على النبي ﷺ منجمًا (أي مفرقًا) بحسب الوقائع والأحوال وجواب الأسئلة والأمثال في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين سنة، أو خمس وعشرين سنة، على الخلاف في مدة إقامته في مكة بعد البعثة، وهذا البيان الذي ذكرناه في المراد من الآيات المذكورة وطرق الجمع بينها هو الصحيح المعتمد حتى حكى بعضهم الإجماع عليه.

التنزيل الثالث

وهو المرحلة الأخيرة التي منها شع النور على العالم، ووصلت هداية الله إلى الخلق، وكان النزول بواسطة أمين الوحي جبريل يهبط به على قلب النبي ﷺ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥]، حيث كان ينزل به مفرقًا على حسب الحوادث والأحوال حسب مشيئة الله تعالى فيوحي به إلى النبي ﷺ، حيث كان الله تعالى يجمعه له في صدره، وينطقه على لسانه، وصدق الله العظيم: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾.

وقد دام هذا التنزيل ثلاثة وعشرين سنة حيث ابتدأ من بدء الوحي بالآيات الأولى وانتهى بآخر ما أنزل من القرآن قبيل وفاته.

حكمة تعدد التنزلات

وقد استنبط العلماء لتعدد تنزلات القرآن الكريم حكمًا كثيرة نجتزئ بذكر بعضها حيث لا يخلو بعضها من تكلف، وفوق ذلك كله حكمة العليم الحكيم سبحانه.

يقول السيوطي في الإتقان نقلاً عن الزركشي في البرهان، كما حكاه الزرقاني في مناهل العرفان: فإن قيل: ما السر في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا؟ قيل: فيه تفخيم لأمره وأمرمن نزل عليه وذلك بإعلان سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل، لأشرف الأمم، ولقد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجمًا «مفرقًا» بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة- كسائر الكتب المنزلة قبله- ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقًا، تشريفًا للمنزل عليه.

قال السيوطي: ذكر ذلك أبو شامة في المرشد الوجيز.

وقال السخاوي في

جمال القراء: في نزوله إلى السماء جملة تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفًا من الملائكة أن تشيع سورة الأنعام، وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السفرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له. قال: وفيه أيضًا التسوية بين نبينا محمد ﷺ وبين موسى عليه السلام في إنزاله كتابه جملة، والتفصيل لنبينا محمد في إنزاله عليه مفرقًا ليحفظه.

ثم يتابع الزرقاني فيقول: وفي تعدد النزول وأماكنه مرة في اللوح، وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي ﷺ، في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن، وزيادة الإيمان به، وباعث على الثقة فيه؛ لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة وصحت له وجودات كثيرة، كان ذلك أنفى للريب عنه، وأدعى إلى تسليم ثبوته، وأدنى إلى وفرة الإيقان به مما لو سجل في سجل واحد أو كان له وجود واحد.

أول ما نزل من القرآن

أول ما نزل من القرآن على وجه الإطلاق قطعًا الآيات الخمس الأولى من سورة العلق وهي قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١- ٥]، ثم فتر الوحي مدة ثم نزلت الآيات الخمسُ الأولى من سورة المدثر، وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١- ٥].

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي قالت: حتى جاءه الحقُّ، وهو في غار حراء، فجاءه المَلَكُ فقال: اقرأ، فقال النبي ﷺ: «ما أنا بقارئ» أي: لست أعرف القراءة، فذكر الحديث، وفيه ثم قال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ إلى قوله: ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١- ٥]، وفيهما عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: وهو يحدث عن فترة الوحي: «بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء...» فذكر الحديث، وفيه: فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١- ٥].

وهناك آيات يقال فيها: أول ما نزل، والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين، فتكون أولية مقيدة مثل: حديث جابر رضي الله عنه في «الصحيحين» أن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأله: أي القرآن أُنزل أول؟ قال جابر: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ قال أبو سلمة: انبئت أنه: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ فقال جابر: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت...» فذكر الحديث، وفيه: «فأتيت خديجة فقلت: دثروني، وصبُّوا عليَّ ماءً باردًا، وأنزل عليّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾، فهذه الأولية التي ذكرها جابر رضي الله عنه باعتبار أول ما نزل بعد فترة الوحي، أو أول ما نزل في شأن الرسالة؛ لأن ما نزل من سورة «اقرأ» ثبت به نبوة النبي ﷺ، وما نزل من سورة المدثر ثبت به الرسالة في قوله: ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ [المدثر: ٢]، ولهذا قال أهل العلم: إن النبي ﷺ نُبِّئَ بـ ﴿ اقْرَأْ ﴾ [العلق: ١]، وأرسل بـ ﴿ الْمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر: ١].

رزقني الله وإياكم العلم النافع والعمل الصالح. والله من وراء القصد.

اقرأ من مكتبة المركز العام

إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي

إعداد / علاء خضر

المؤلف: الإمام المحدث الفقيه الزاهد شيخ الإسلام مفتي الأمة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي، الصالحي صاحب المغني.

مولده: ٥٤١هـ، بنابلس رحل في طلب العلم وتفقه حتى فاق أقرانه وحاز قصب السبق وانتهت إليه معرفة المذهب وأصوله وسمع مشايخ كثيرين منهم أبو المظفر أحمد بن أحمد ابن حمدي وأبو الفضل الجيلي أحمد بن صالح ابن شافع البغدادي وغيرهم كثير.

وتتلمذ عليه كثيرون منهم عز الدين أبو إسحاق المقدسي وشرف الدين أبو العباس المقدسي.

قال عنه الضياء المقدسي: كان إمامًا في القرآن وتفسيره، وإمامًا في علم الحديث ومشكلاته وإماما في الفقه بل أوحد زمانه فيه، إمامًا في علم الخلاف، أوحد زمانه في الفرائض، إماما في أصول الفقه، إمامًا في النحو، إمامًا في الحساب.

قال عنه الذهبي: أحد الأئمة الأعلام، صاحب التصانيف.

وفاته: توفي سنة ٦٢٠هـ بدمشق.

موضوع الكتاب: إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى وأنه فوق سمواته بائن من خلقه.

أهمية الكتاب: من الكتب المسندة التي أثبتت علو الله سبحانه وتعالى وأنه فوق عرشه بائنٌ من خلقه، جمع في ذلك الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وأقوال الأئمة والفقهاء.

ـ الكتاب فيه رد على ابن عربي وابن سبعين وكل من قال مقالة الاتحادية الذين اعتقدوا أنه ليس هناك خالق ولا مخلوق وأن العالم هو عين الله. ومقالة الحلولية الذين اعتقدوا أن الله في كل مكان بذاته وأنه حالٌ في مخلوقاته ومقالة المعطلة من الجهمية والمعتزلة الذين اعتقدوا أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه وغيرها من المقالات الفاسدة التي أنكرت علو الله سبحانه وتعالى وأنه فوق عرشه.

ـ لأهمية الكتاب قام الذهبي رحمه الله بتخريج جُل أحاديث الكتاب وآثاره وذكرها في كتابه «العلو» من طريق المصنف أو من غير طريقه ثم تكلم على الأحاديث التي فيه.

منهج المؤلف: رتب مسألة علو الله تعالى مستدلا أولا بالأدلة من القرآن الكريم ثم من السنة النبوية ثم من أقوال الصحابة ثم من أقوال التابعين ثم من أقوال الأئمة الفقهاء.

ـ ولم يشترط الصحة في روايته لأحاديث الكتاب.

أهم ما جاء في الكتاب: بدأ المؤلف كتابه بمقدمة قال فيها:

الحمد لله الذي علا في سمائه، وجلا باليقين قلوب أوليائه، وخار لهم في قدره وبارك لهم في قضائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ مؤمنٍ بلقائه، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأحبابه وأصفيائه وسلم تسليمًا.

أما بعد فإن الله تعالى وَصَفَ نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك رسوله محمد خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء، تواترت الأخبار بذلك على وجهٍ حصل به اليقين، وجمع الله تعالى عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزًا في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم، لا ينكر ذلك إلا مبتدعٌ غالٍ في بدعته، أو مفتون بتقليد أتباعه على ضلالته، وأنا ذاكرٌ في هذا الجزء بعض ما بلغني من الأخبار في ذلك عن رسول الله ﷺ، وصحابته، والأئمة المقتدين بسنته على وجهٍ يحصلُ به القطع واليقين بصحة ذلك عنهم ويُعلم تواتر الرواية بوجوه منهم، ليزداد مَن وقف عليه من المؤمنين إيمانًا ويتنبه من خفي عليه ذلك حتى يصير كالشاهد له عيانًا ويصير للمتمسك بالسنة حجةً وبرهانًا.

ثم ثنَّى بذكر الآيات القرآنية التي أثبتت علو الله ومنها:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس:٣] وفي مواضع من كتابه.

وقال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦] في موضعين.

وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤].

وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

ثم ذكر الأحاديث الصحيحة الصريحة في أن الله تعالى في السماء:

ذكر حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

وحديث معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي غنمٌ بين أُحدٍ والجوانية فيها جاريةٌ لي، فاطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة، وأنا من بني آدم آسف كما يأسفون، فرفعت يدي فصككتها صكةً، فأتيتُ رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فعظَم ذلك عليَّ، فقلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: «ادعها». فدعوتها قال: فقال لها رسول الله ﷺ: «أين الله؟». قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «أعتقها فإنها مؤمنة».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها».

ثم قال: ذكر الأخبار الواردة بأن الله تعالى فوق عرشه:

ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابٍ هو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي».

وحدَّث حبيب بن أبي ثابت أن حسان بن ثابت أنشد النبي ﷺ:

شهدت بإذن الله أن محمدًا
رسول الله الذي فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما
له عملٌ في دينه متقبل
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم
يقول بذات الله فيهم ويعدل

وذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فأدخل على ربي - عز وجل - وهوعلى عرشه تبارك وتعالى» في حديث الشفاعة.

وحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: «يا أبا ذر! أتدري أين تغرب الشمس؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش عند ربها، وتستأذن فلا يُؤْذنُ لها حتى تستشفع وتطلب، فإذا طال عليها قيل لها اطلعي من مكانك، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس:٣٨].

ثمَ ذكر أقوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

فعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قبض رسول الله ﷺ دخل أبو بكر عليه فأكب عليه وقبل جبهته وقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا، وقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما بين السماء القصوى وبين الكرسي خمسمائة سنة، وما بين الكرسي والماء خمسمائة سنة، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : تفكروا في كل شيءٍ ولا تفكروا في ذات الله، فإنَّ بين السموات السبع إلى كرسيه سبعة آلاف سنة، وهو فوق ذلك تبارك وتعالى.

وعن عيسى بن طهمان قال: سمعتُ أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كانت زينب تفخر على أزواج رسول الله ﷺ تقول: إن الله زَوَّجني من السماء وأطعم عليها خبزًا ولحمًا.

وفي لفظٍ تقول: زَوَّجكُن أهاليكن وزَوَّجَني الله تعالى من فوق سبع سموات.

ثم ذكر أقوال التابعين:

عن علي بن الأقمر قال: كان مسروق إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله، المبرأة من فوق سبع سموات؛ فلِمَ أُكَذِّبها.

قال بن عبد البر: وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة:٧] قال: هو على عرشه، وعلمُه معهم أينما كانوا.

وسئل ربيعة عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥] كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مَجهول، والكيف غير معقول، ومِنَ الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق.

ثم ذكر أقوال الأئمة رضي الله عنهم:

فعن النعمان قال حدثني عبد الله بن نافع قال: قال مالك: الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء.

وسئل سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد:٤] قال: علمه.

وقيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: الله عز وجل فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم على العرش ولا يخلو من علمه مكان.

وقيل لابن المبارك كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه ههنا وههنا.

وقال الأثرم: وحدثنا أبو عبد الله الأوسي وقال وهب بن جرير: إنما يريد الجهمية أنه ليس في السماء شيء.

ثم ختم بقول أبي عمر بن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفةً محصورةً. وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج - فكلهم ينكرها ولا يحمل منها شيئًا على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما ينطق به كتابُ الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة.

والحمد لله رب العالمين

أطفال المسلمين

ركن الأسرة

كيف رباهم النبي الأمين

الحلقة الثالثة العشرون

إعداد: جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

في هذا العدد نطالع - إن شاء الله - هدي رسولنا الكريم ﷺ حيث يثبت ﷺ حقهم في طلب العلم وتعلُّم القرآن.

(١٠٤) ويثبت ﷺ حقهم في طلب العلم وتعلّم القرآن:

العلم نعيم الأرواح، وسلاحٌ زان الأشباح، استحق طالبُهُ استغفار الكائنات كلما غدا أو راح، ورضًا بما يصنع خفضت له الملائكة الجناح، واستحق العلم أن يكون فرضًا من العليم الفتاح.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(١). قال عبد الملك بن مروان لمؤدب (معلم) ولده: «علِّمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنِّبهم السَّفَلة، فإنهم أسوأ الناس وَرَعًا، وأقلهم أدبًا، وجنِّبهم الخَدَم فإنهم لهم مفسدة، وأطعمهم اللحم يَقْوَوْا، وعلمهم الشعر يمجدوا وينْجُدوا (يرتفعوا)، ومُرْهُم أن يستاكوا (بالسواك) عرضًا، ويمصوا الماء مصًا، ولا يعبوه عبًا، وإذا احتجت أن تتناولهم بأدب (تأديب أو توبيخ)، فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الفاشية (المفشين للأسرار) فيهونوا عليه».

وفي هذه الوصية لم يفكر عبد الملك بن مروان في التربية العلمية والدينية والأدبية وحدها؛ ولكنه فكَّر أيضًا في التربية الخُلُقية والجسمية واللسانية، والتربية الصحية والتربية الاجتماعية(٢).

وقال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبي مؤدب ولده: «إن ابني هذا هو جلدة ما بين عينيَّ، وقد ولّيتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأدِّ الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله، ثم روِّه من الشِّعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم، وبصِّره طرفًا من الحلال والحرام، والخُطب والمغازي»(٣).

وقال الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين: «إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة. فكن بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرِّفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلِّمه السُّنن، وبصِّرْه بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا

دخلوا عليه، ورفْع مجالس القُوَّاد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرَّنَّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تُحزنه فتميت ذهنه، ولا تُمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقُرْب والملاينة، فإن أباهما (رفضهما) فعليك بالشدة والغلظة»(٤).

وأما عن تعليم الأطفال كتاب اللَّه تعالى، فقد قال الحافظ السيوطي: (تعلم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام؛ فينشأون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها؛ وسوادها بأكدار المعصية والضلال)، وأكد ابن خلدون في مقدمته ص ٣٩٧ هذا المفهوم بقوله: تعليم الوالدين للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم؛ لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده؛ بسبب آيات القرآن؛ ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم؛ الذي ينبني عليه ما يُحَصَّلُ بعدُ من المَلَكَات.

ومن شدة حرص الصحابة رضوان اللَّه تعالى عليهم على ارتباط أطفالهم بالقرآن أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم.

وهذا ابن عباس رضي اللَّه عنهما قرأ المحكم (حفظ القرآن) على عهد رسول اللَّه ﷺ وهو طفل صغير، فقد ذكر ابن كثير في فضائل القرآن، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: تُوُفِّيَ رسول اللَّه ﷺ وأنا ابن عشر سنين؛ وقد قرأتُ المحكم.

وكذلك السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا يحرصون على تعلم أطفالهم القرآن وحفظه في صغرهم؛ ويحسن أن يشرح المعلم للطفل شرحًا مبسطًا على قدر استيعابه ليتفتح قلبه وعقله وتكبر هذه المعاني معه في كبره، فهذا ابن عباس يقول لأصحابه: سلوني عن سورة النساء فإني قرأتُ وأنا صغير(٥).

وهذا المأمون رحمه اللَّه تعالى يفهم فهمًا عجيبًا في القرآن وهو صغير، فقد كان يقرأ على معلمه الكسائي، وكان من عادة الكسائي أن يخفض رأسه إذا قرأ المأمون، فإذا أخطأ رفع رأسه ناظرًا إليه فيرجع إلى الصواب، فقرأ المأمون يومًا سورة الصف، ولما وصل إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. رفع الكسائي رأسه، فنظر المأمون إليه، وكرر الآية وهو يفتش عن خطئه، فوجدها صحيحة، فمضى في قراءته، ولما انصرف الكسائي، دخل المأمون على أبيه قائلاً: هل وعدتَ الكسائي بشيء؟ قال: كيف علمت بذلك يا بُني؟ فأخبره بالأمر، فسُرَّ الرشيد لفطنة ولده وشدة ذكائه.

ومع تعلم الأطفال القرآن لا بد أن يؤخذ في الاعتبار تعليمهم الإيمان مثل لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه، وأين اللَّه، وتعريفهم بالجنة والنار، والحلال والحرام، بالقدر الذي يستوعبونه، والحياء وكل ما يمكن إدراكه من شعب الإيمان. قال جندب: كنا غلمانًا حزاورة مع رسول اللَّه ﷺ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن(٦).

وكذلك السُّنَّة، فإن السلف رضوان اللَّه عليهم كانوا يلقنون أبناءهم السنة مع القرآن؛ لأنهما الركنان الأساسيان في بناء الطفل علميًا، وهذا البخاري رحمه اللَّه تعالى يقول: أُلهمت(٧) حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب، فقيل له: كم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل(٨).

وهذا الشافعي رحمه اللَّه يقول: حفظتُ القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظتُ الموطأ وأنا ابن عشر سنين(٩).

وهذا ابن خلدون حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وتعلم العلوم الكثيرة في اللغة والأدب والفقه والأصول والتفسير والحديث، ونبغ في كل ما تعلَّمه ولم يبلغ العشرين من عمره.

تعليم الأولاد الشِّعر:

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن من الشعر حكمة، وإذا التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه من الشعر فإنه

عربي»(١٠). وعنه قال: إذا قرأ أحدكم شيئًا من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه في الشعر فإنه ديوان العرب.

هذا هو الصحيح موقوفًا(١١).

وعنه أيضًا رضي الله عنه أنه سُئل عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]. قال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، أمَا سمعتم قول الشاعر:

أَصبر عَناق إنه شرٌ باقْ   قدْ سَنّ قومُك ضربَ الأعناقْ
وقامت الحربُ بنا عن ساق

قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة(١٢).

وعن محمد بن سيرين قال: كان شعراء أصحاب محمد ﷺ عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك رضي الله عنهم(١٣).

وليس الأمر قاصرًا على الرجال، بل مِن النساء مَن لهن في ذلك أروع الأمثلة.

فهذه حفصة بنت سيرين حفظت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة، وكان أخوها محمد بن سيرين إذا أشكل عليه شيء من القرآن قال: اذهبوا فاسألوا حفصة كيف تقرأ(١٤).

وأيضًا سلمى بنت محمد بن الجزري، وكنيتها أم الخير، يقول عنها والدها شيخ الإقراء: ... هي ابنتي نفع الله بها، شرعَت في حفظ القرآن سنة ٨١٣ هـ، وحفظت مقدمة التجويد وعرضتها، ومقدمة النحو، ثم حفظت الألفية، وعرضت القرآن حفظًا بالقراءات العشر، قراءة صحيحة مجوّدة مشتملة على جميع وجوه القراءات؛ بحيث وصلت في الاستحضار إلى غاية لا يشاركها فيها أحد في وقتها، وتعلمت العروض، والعربية، وكتبت الخط الجيد، ونظمت بالعربي والفارسي، وقرأت بنفسها الحديث، وسمعت مني وعليَ كثيرًا، بحيث صار لها فيه أهليةٌ وافرة، فالله يسعدها ويوفقها لخيري الدنيا والآخرة(١٥). والأمثلة كثيرة، ونكتفي لعدم الإطالة، والله الموفق.

فطلب العلم فرض على جميع المسلمين، رجالاً ونساءً، صغارًا وكبارًا، والصغار يقوم به لهم كبارهم، خاصة أن فترة الطفولة هي أثرى الفترات وأغناها وأخصبها للحفظ والتحصيل والاستفادة.

وكذلك السيرة من العلوم العظيمة التي يجب أن يتعلمها الطفل ويتلقنها؛ لأن في السيرة والقصة مشاهدة الواقع الإسلامي ومعايشته، والتأثر به، والقصة لها دور كبير في شَدّ انتباه الطفل، فهي من الأساليب المؤثرة في عقله ونموه الفكري لِما لها من متعة تسهّل إفادة الطفل تعليميًا باستخلاص النتائج والعبر، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [سورة يوسف: ١١١].

وإلى اللقاء بإذن الله.

الهوامش:

(١) ابن ماجه، كتاب المقدمة ٢٢٠، والحديث صحيح .

(٢) التربية الإسلامية للإبراشي ص ١٤٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٣ .

(٥) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه.

(٦) سبق تخريجه في الفقرة (٣٠).

(٧) أي: وُفقتُ إليه.

(٨) فيض الباري، شرح صحيح البخاري للكشميري ١/٣٣، وانظر تغليق التعليق لابن حجر العسقلاني ج ٥ ص ٣٨٦ .

(٩) طبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٥٤ .

(١٠) البيهقي ج ١٠، ح ٢٠٩١٢ .

(١١) نفس المصدر والحديث.

(١٢) حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم ج ٢، ح ٣٨٤٥ .

(١٣) البيهقي ج ١٠، ح ٢٠٩١٢ .

(١٤) سير أعلام النبلاء ٤/٥٠٧ .

(١٥) غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري ١/٣١٠ .

تحذير الداعية من القصص الواهية

«الحلقة الأربعون»

قصة رسالة إلى عابد الحرمين في موسم حج «١٧٩هـ»

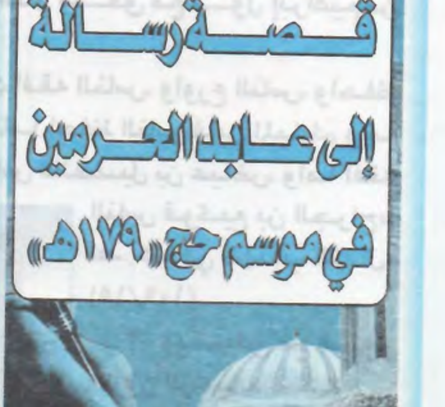

بقلم

علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص واتخذها البعض دليلاً على التقليل من شأن العبادة والعلم بدعوى أن لهم غاية تصبح أمامها هذه الأمور لعبًا وعبثًا.

أولا: القصة سندا ومتنا

أخرج عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي في كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» (٢٠١/١) قال: أخبرنا أبو العباس الأشعري بقراءتي عليه، أخبرنا سليمان بن حمزة القاضي، والحسن بن علي بن ميمون النرسي الحافظ بالكوفة، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أخبرنا أبو المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني قال: أملى علينا أبو محمد عبد الله بن سعيد بن يحيى الجزري القاضي بنصيبين، حفظا، في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، قال: أملى عليَّ محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة البهراني من كتابه بحلب سنة ست وثلاثين ومائتين، قال: أملى عليَّ عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وودعته بالخروج للحج، وأنفذها معي إلى الفضيل- يعني ابن عياض- وذلك سنة تسع وسبعين ومائة:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعبُ
من كان يخضب جيدَه بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يُتْعِبُ خيله في باطل
فخيولنا يوم الكريهة تتعبُ
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رهجع السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا عن مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في
أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بَيننا
ليس الشهيد بميت لا يكذب

ثانيا: التحقيق:

قلت: هذه القصّة واهية وسندها تالف، وعلته أبو المفضل محمد بن عبد الله الشيباني، أورده الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤٦٦/٥)... (٣٠١٠) وقال: أبو المفضل الشيباني الكوفي: نزل بغداد وحدث بها عن البغوي وابن جرير وعن خلق كثير من المصريين، والشاميين، والجزريين وأهل الثغور معروفين ومجهولين، ثم قال:

وحدثني عبد الملك بن عبد القهار قال: أبو المفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله البهلول بن همام بن المطلب بن همام بن مطر بن بحر بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان سمعت الأزهري ذكر أبا المفضل فأساء ذكره، وقال: كان أبو المفضل دجالاً كذابًا.

ثم قال: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي قال: سنة سبع وثمانين وثلاثمائة فيها توفي أبو المفضل الشيباني ببغداد في التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر وكان كثير التخليط». اهـ.

قلت: وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٨٠٢/٦٠٧/٣)، ونقل قول الخطيب في أبي المفضل: «كتبوا عنه بانتخاب الدارقطني ثم بان كذبه فمزقوا حديثه وأبطلوا روايته وكان يضع الأحاديث للرافضة». اهـ. وأقره.

قلت: وأورده الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢٦١/٥) (٧٥٩٦/٨١١)، وأقر قول الأزهري والدارقطني والعتيقي: ثم نقل عن حمزة بن محمد بن طاهر قوله: «كان يضع الحديث». اهـ.

قلت: وأورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١٠٧/١) في سرد أسماء الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الحديث ويقلب الأخبار ومن اتهم بالكذب والوضع من رواة الأخبار حيث أورده في حرف الميم (١٦٦) وقال: «محمد بن عبد الله بن المطلب أبو المفضل الشيباني الكوفي عن البغوي وابن جرير: دجال يضع الحديث». اهـ.

قلت: بهذا التحقيق يتبين أن القصة واهية مكذوبة، فلا تعجب فقد وضعت أحاديث مكذوبة وقصص واهية على خاتم النبيين ﷺ.

ثالثا: قرائن تدل على نكارة القصة

القرينة الأولى: ما كان لعبد الله بن المبارك رحمه الله أن يحتقر عبادة شيخه الفضيل بن عياض ويقول له:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب

وقد ذكر الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٥٣٤٩/١٠٥/١٥) أن عبد الصمد بن يزيد الصائغ قال: قال لي عبد الله بن المبارك: «إن الفضيل بن عياض صدق الله فأجرى الحكمة على لسانه فالفضيل ممَّن نفعه علمه». اهـ.

قلت: هذا قول ابن المبارك في بيان صدق الفضيل بن عياض.

١- والذي يتفق مع قول إبراهيم بن شماس:

«رأيت أفقه الناس، وأورع الناس، وأحفظ الناس: فأما أحفظ الناس فابن المبارك، وأما أورع الناس فالفضيل بن عياض، وأما أفقه الناس فوكيع بن الجراح». اهـ. كذا في «تهذيب الكمال» (١٠٩/١٥).

٢- ويتفق مع قول هارون الرشيد:

«ما رأيت في العلماء أهيب من مالك بن أنس ولا أورع من الفضيل بن عياض».

٣- ويتفق مع قول إسماعيل بن يزيد عن إبراهيم بن الأشعث:

«ما رأيت أحدًا كان الله في صدره أعظم من الفضيل بن عياض، كان إذا ذُكر الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن ظهر به الخوف والحزن وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من بحضرته، وكان دائم الحزن، شديد الفكرة، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله وأخذه وعطائه ومنعه وبذله وبغضه وحبه وخصاله كلها غيره». اهـ.

قلت: ولذلك جمع فيه الحافظ ابن حجر القول في «التقريب» (١١٣/٢) فقال: الفضيل بن عياض بن مسعود التيمي أبو علي، الزاهد المشهور أصله من خراسان وسكن مكة، ثقة عابد إمام من الثامنة، مات سنة سبع وثمانين ومائة.

قلت: من هذه القرينة يتبين للقارئ الكريم حقيقة عبادة الإمام الفضيل بن عياض، والذي ترجم له الإمام المزي قائلاً: «أبو علي الزاهد أحد صلحاء الدنيا وعبادها»، ولقد تبين من قول ابن المبارك الذي أوردناه آنفًا: «أنه صدق الله» مما يدل على أن هذه القصة الواهية قصة مكذوبة على ابن المبارك الذي يعرف قدر شيخه الفضيل بن عياض، كما بينا آنفًا، فما كان له أن يصفه بالعبث واللعب في العبادة.

«حج الخليفة»
القرينة الثانية

الذي يتأمل في القصة والأبيات التي كتبها ابن المبارك بطرسوس وأرسلها مع ابن أبي سكينة البهراني إلى الفضيل بن عياض وودعه بالخروج للحج سنة تسع وسبعين ومائة، يدل على أن الأمة في هذا الوقت كانت في حرب، وأن ابن المبارك كان في معركة والفضيل يلعب في العبادة بمكة.

قلت: بالبحث في كتاب «البداية والنهاية» (٥٣٣/١٠) للإمام ابن كثير لسنة تسع وسبعين ومائة نجد أن موسم الحج كان موسم أمن وأمان، ولا توجد فيه حرب، ولذلك خرج الخليفة هارون الرشيد في هذه السنة للحج، حيث قال الإمام ابن كثير:

«وفيها خرج الرشيد معتمرًا من بغداد شكرًا لله عز وجل، فلما قضى عمرته أقام بالمدينة حتى حج بالناس في هذه السنة، فمشى من مكة إلى منى ثم إلى عرفات وشهد المشاهد والمشاعر كلها ماشيًا، ثم انصرف إلى بغداد على طريق البصرة». اهـ.

قلت: ولقد ذكرنا هاتين القرينتين للاستئناس على نكارة القصة ومن تحقيق القصة الذي أوردناه آنفًا يتبين أن القصة واهية من غير هذه القرائن، وأن ابن المبارك رحمه الله بريء من احتقاره لعبادة الفضيل رحمه الله، بل هو الذي شهد للفضيل بأنه صدق الله فأجرى الحكمة على لسانه: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وإن تعجب فعجب كيف ينسب لابن المبارك احتقاره لعبادة الفضيل وجعلها لعبًا وعبثًا وقد ترجم الإمام المزي للفضيل أنه: «الزاهد أحد صلحاء الدنيا وعبادها» كما بيّنا آنفًا، ولا يخفى على ابن المبارك مكانة الصالحين في النصر.

١- فلقد بوّب الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب الجهاد بابًا بعنوان: «من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب» باب (٧٦).

قلت: ثم أخرج الإمام البخاري تحت هذه الترجمة: (ح٢٨٩٦) قال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا محمد بن طلحة عن طلحة عن مصعب بن سعد قال: رأى سعدٌ رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ: «هل تنصرون إلا بضعفائكم».

٢- قلت: ولقد بوب الإمام النسائي في السنن الكبرى والصغرى في كتاب «الجهاد» بابًا بعنوان: «الاستنصار بالضعيف».

قلت: ثم أخرج الإمام النسائي تحت هذه الترجمة في «السنن الكبرى» (٣/٣٠) (ح٤٣٨٧) قال: أنبأنا محمد بن إدريس قال: حدثنا عمر وهو ابن حفص بن غياث عن أبيه عن مسعر عن طلحة عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه: ظنّ أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي ﷺ فقال نبي الله: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم».

قلت: وهذا الحديث أخرجه النسائي أيضًا في «الصغرى» (٢/٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/٢٦) من طريق طلحة بن مصرف عن مصعب بن مسعد عن أبيه، وهو حديث صحيح.

٣- قلت: وقد أخرج أبو داود (ح٢٥٩٤)، والنسائي (٢/٦٥)، وفي الكبرى (٣/٣٠) (ح٤٣٨٨)، والترمذي (٤/١٧٩- شاكر) (ح١٧٠٢)، وابن حبان (ح١٦٢٠)، والحاكم (٢/١٠٦، ١٤٥) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ابغوني الضعفاء؛ فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، فالحديث صحيح وهو كما قالا.

قلت: ثم نقل الحافظ في «الفتح» (٦/١٠٥) أقوال الأئمة حول الحديث:

١- قال ابن بطال: «تأويل الحديث أن الضعفاء أشد إخلاصًا في الدعاء وأكثر خشوعًا في العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا». اهـ.

٢- وقال المهلب: أراد ﷺ بذلك حَض سعد على التواضع ونفي الزهو على غيره وترك احتقار المسلم في كل حالة. اهـ.

«الاستفتاح بالصالحين»

أخرج الإمام البخاري (ح٢٨٩٧) قال: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابرًا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: «يأتي زمان يغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صَحِب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح عليه، ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صَحِب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح، ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب أصحاب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح». اهـ.

قلت: فما أحوجنا إلى العودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة الذين كتب الله لهم الفتح، في الوقت الذي أعدوا لعدوهم ما استطاعوا من قوة.

بهذا يتبين للقارئ الكريم عدم صحة هذه القصة من خلال التخريج والتحقيق وكيف صححنا المفاهيم من خلال السنة الصحيحة المطهرة.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

فتاوى

أجاب عنها:
فضيلة الشيخ: ابن عثيمين رحمه الله

مواقيت الحج الزمانية

سُئل: ما هي مواقيت الحج الزمانية؟

أجاب: مواقيت الحج الزمانية تبتدئ بدخول شهر شوال، وتنتهي إما بعشر ذي الحجة، أي بيوم العيد، أو بآخر يوم من شهر ذي الحجة، وهو القول الراجح؛ لقول الله تعالى: ﴿ الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة:١٩٧]، واشهر جمع، والأصل في الجمع أن يراد به حقيقته، ومعنى هذا الزمن أن الحج يقع في خلال هذه الأشهر الثلاثة، وليس يُفعل في أي يوم منها، فإن الحج له أيام معلومة، إلا أن نسك الطواف والسعي إذا قلنا بأن شهر ذي الحجة كله وقت للحج، فإنه يجوز للإنسان أن يؤخر طواف الإفاضة وسعي الحج إلى آخر يوم من شهر ذي الحجة، ولا يجوز له أن يؤخرهما عن ذلك، اللهم إلا لعذر، كما لو نفست المرأة قبل طواف الإفاضة، وبقي النفاس عليها حتى خرج ذو الحجة، فهي إذًا معذورة في تأخير طواف الإفاضة، هذه هي المواقيت الزمنية في الحج.

أما العمرة فليس لها ميقات زمني، تفعل في أي يوم من أيام السنة، لكنها في رمضان تعدل حجة، وفي أشهر الحج اعتمر النبي ﷺ كل عمره، فعمرة الحديبية كانت في ذي القعدة، وعمرة القضاء كانت في ذي القعدة، وعمرة الجعرانة كانت في ذي القعدة، وعمرة الحج كانت أيضًا مع الحج، وهذا يدل على أن العمرة في أشهر الحج لها مزية وفضل، لاختيار النبي ﷺ هذه الأشهر لها.

حكم الإحرام بالحج قبل دخول المواقيت الزمانية

سُئل: ما حكم الإحرام بالحج قبل دخول هذه المواقيت الزمانية؟

أجاب: اختلف العلماء رحمهم الله في الإحرام بالحج قبل دخول أشهر الحج.

فمن العلماء من قال: إن الحج قبل أشهره ينعقد ويبقى محرمًا بالحج، إلا أنه يكره أن يحرم بالحج قبل دخول أشهره.

ومن العلماء من قالوا: إن من يحرم بالحج قبل أشهره، فإنه لا ينعقد ويكون عمرة، أي يتحول إلى عمرة؛ لأن العمرة كما قال النبي ﷺ: «دخلت في الحج»، وسماها النبي ﷺ الحج الأصغر، كما في حديث عمرو بن حزم المرسل المشهور، الذي تلقاه الناس بالقبول.

من لا يستطيع لبس الإحرام

سُئل: شخص معاق لا يستطيع أن يلبس ثياب الإحرام فكيف يصنع؟

أجاب: إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يلبس ثياب الإحرام فإنه يلبس ما يقدر عليه من اللباس الآخر، وعليه عند أهل العلم إما أن يذبح في مكة شاة يفرقها على الفقراء، أو يطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، أو يصوم ثلاثة أيام، هكذا قال أهل العلم قياسًا على ما جاء في حلق شعر الرأس حيث قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة:١٩٦]، وقد فصل النبي ﷺ الصيام والصدقة بما ذكرناه.

لبس القفازين

سُئل: هل يجوز للمحرمة أن تلبس القفازين والجورب؟

أجاب: أما لبس المرأة الجورب فلا بأس به.

وأما لباسها القفازين فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك فقال في المحرمة: «لا تلبس القفازين».

تأخير العمرة للحائض

سُئل: امرأة مرت بالمقيات وهي حائض فاحرمت منه ونزلت إلى مكة وأخَّرت العمرة حتى طهرت فما حكم عمرتها؟

أجاب: العمرة صحيحة ولو أخرتها إلى يوم أو يومين ولكن بشرط أن يكون ذلك بعد طهارتها من الحيض؛ لأن المرأة الحائض لا يحل لها أن تطوف بالبيت، ولهذا لما حاضت عائشة رضي الله عنها وهي قد أقبلت إلى مكة محرمة بالعمرة قال لها النبي ﷺ: «احرمي بالحج وافعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت»، ولما حاضت صفية قال ﷺ: «أحابستنا هي؟» ظن أنها لم تطف طواف الإفاضة، فقالوا: إنها قد أفاضت، فقال: «انفروا»، فالمرأة الحائض لا يحل لها أن تطوف بالبيت، فإذا قدمت إلى مكة وهي حائض وجب عليها الانتظار حتى تطهر، ثم تطوف بالبيت، أما إذا حصل الحيض بعد طواف العمرة وقبل السعي فلتكمل عمرتها ولا شيء عليها، وإذا أتاها الحيض بعد السعي فلا يجب عليها طواف الوادع حينئذ؛ لأن طواف الوداع يسقط عن الحائض.

حكم الجاهل والناسي لمحظورات الإحرام

سُئل: من فعل شيئًا من محظورات الإحرام ناسيًا أو جاهلاً فما الحكم؟

أجاب: إذا فعل شيئًا من محظورات الإحرام بعد أن لبس إحرامه وهو لم يعقد النية بعد فلا شيء عليه؛ لأن العبرة بالنية لا بلبس ثوب الإحرام، ولكن إذا كان قد نوى ودخل في النسك فإنه إذا فعل شيئًا من المحظورات ناسيًا أو جاهلاً فلا شيء عليه، ولكن يجب عليه بمجرد ما يزول العذر فيذكر إن كان ناسيًا، ويعلم إن كان جاهلاً يجب عليه أن يتخلى من ذلك المحظور.

مثال هذا: لو أن رجلاً نسي فلبس ثوبًا وهو محرم فلا شيء عليه، ولكن من حين ما يذكر يجب عليه أن يخلع هذا الثوب، وكذلك لو نسي فأبقى سرواله عليه، ثم ذكر بعد أن عقد النية ولبى، فإنه يجب عليه أن يخلع سرواله فورًا ولا شيء عليه، وكذلك لو كان جاهلاً فإنه لا شيء عليه مثل أن يلبس فنيلة ليس فيها خياطة بل منسوجة نسجًا يظن أن المحرم لم يلبس ما فيه خياطة فإنه لا شيء عليه، ولكن إذا تبين له أن الفنيلة وإن لم يكن بها توصيل فإنها من اللباس الممنوع فإنه يجب عليه أن يخلعها.

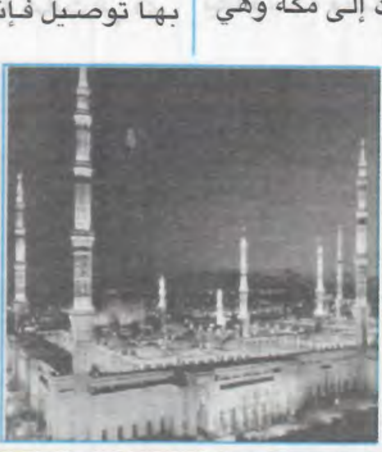

والقاعدة العامة في هذا أن جميع محظورات الإحرام إذا فعلها الإنسان ناسيًا أو جاهلاً أو مكرهًا فلا شيء عليه؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال تعالى: قد فعلت،

ولقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [المائدة: ٩٥]، ولا فرق في ذلك بين أن يكون محظور الإحرام من اللباس، والطيب ونحوهما، أو من قتل الصيد، وحلق شعر الرأس ونحوهما، وإن كان بعض العلماء فرق بين هذا وهذا، ولكن الصحيح عدم التفريق؛ لأن هذا من المحظور الذي يعذر فيه الإنسان بالجهل، والنسيان، والإكراه.

التمسح بكسوة الكعبة

سُئل: هل يجوز التمسح بثوب الكعبة؟

أجاب: التبرك بثوب الكعبة والتمسح به من البدع؛ لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، ولما طاف معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالكعبة وجعل يمسح جميع أركان البيت، أنكر عليه عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما، فأجاب معاوية: «ليس شيء من البيت مهجورًا»، فرد عليه ابن عباس بقوله: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، وقد رأيت النبي ﷺ يمسح الركنين اليمانيين» يعني الحجر الأسود والركن اليماني، وهذا دليل على أننا نتوقف في مسح الكعبة وأركانها على ما جاءت به السنة؛ لأن هذه هي الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ، وأما الملتزم الذي بين الحجر الأسود والباب فإن هذا قد ورد عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم قاموا به فالتزموه يدعون، والله أعلم.

الحلق والتقصير في العمرة

سُئل: ما حكم الحلق أو التقصير في العمرة؟ وأيهما أفضل؟

أجاب: الحلق أو التقصير بالنسبة للعمرة واجب؛ لأن النبي ﷺ لما قدم مكة في حجة الوداع وطاف وسعى أمر كل من لم يسق الهدي أن يقصر ثم يحل، فلما أمرهم أن يقصروا، والأصل في الأمر الوجوب، دل على أنه لابد من التقصير، ويدل لذلك أن النبي ﷺ أمرهم حين أحصروا في غزوة الحديبية أن يحلقوا حتى إنه ﷺ غضب حين توانوا في ذلك.

وأما أيهما الأفضل في العمرة التقصير أو الحلق؟ فالأفضل الحلق إلا للمتمتع الذي قدم متأخرًا فإن الأفضل في حقه التقصير من أجل أن يوفر الحلق للحج.

من لم يحلق أو يقصر في العمرة

سُئل: حاج متمتع طاف وسعى للعمرة ولبس ملابسه العادية ولم يقصر ولم يحلق وسأل بعد الحج فأخبر أنه أخطأ فماذا يفعل؟

أجاب: هذا الرجل يعتبر تاركًا لواجب من واجبات العمرة وهو الحلق أو التقصير، وعليه عند أهل العلم أن يذبح فدية في مكة، ويوزعها على فقراء مكة، وهو باق على تمتعه وعمرته صحيحة.

الأخلاق في الإسلام

(١١)

الزهد

بقلم
عاطف التاجوري

الحمد لله الغني الحميد، وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.. وبعد:

إن أهل البدع والضلالات بتمسكهم ببدعهم وضلالاتهم، وباتباعهم لأهوائهم وعدم انسياقهم لشرع الله تعالى وعدم مسايرتهم له، وطرحهم لدين الله جانبا وجعلهم مجموعة من الأهواء والضلالات هي الأصل بدلا من هذا الدين القيم، وإذا جئتهم بالدليل من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مما يخالف باطلهم أولوا الدليل بما لا يوافق معناه الصحيح بدون قرينة تؤيد هذا التأويل بل هذا التحريف، إنهم بفعلهم هذا يحاولون هدم الدين الحق بمعاول أشد من المعاول التي يحاول بها إعداء الدين هدمه، ويبعدون الناس عن الدين الصحيح إما جهلا وإما عمدًا.

وكمثال لهذه المفاهيم المغلوطة التي يقدمونها للناس مفهوم الزهد، فهم يوهمونهم بأن الزهد هو لبس المرقع من الثياب وأكل الخشن من الطعام والتبرؤ من المال والأهل، فيؤدي نشر هذا الفهم الخاطئ إلى نفور الناس من هذا الخلق العظيم، في حين أن الزهد لا يعني هذا مطلقًا.

المعنى اللغوي

في لسان العرب لابن منظور: الزُّهد والزَّهادة (بالفتح) في الدنيا، ولا يقال (الزُّهد) (بالضم) إلا في الدين خاصة، والزُّهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزَّهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة، والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه. وزهده عن الأمر رغبه عنه. وفي حديث الزهري وسئل عن الزهد في الدنيا فقال: هو ألا يغلب الحلال شكره ولا الحرامُ صبرَه، أراد ألا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال، ولا صبره عن ترك الحرام.

الصحاح: يقال زهد في الشيء وعن الشيء. وفلان يتزهد أي يتعبد، وقوله عز وجل: «وكانوا فيه من الزاهدين»، قال ثعلب: اشتروه على زهد فيه.

والزهيد الحقير.. وشيء زهيد: قليل فنرى أنه أهم شيء في المعنى اللغوي للزهد هو أنه ضد الرغبة والحرص على الدنيا كما بدأ بذلك ابن منظور في لسان العرب وجعل الزهد بمعنى القلة والحقارة في آخر المعاني التي جاء بها لهذه الكلمة.

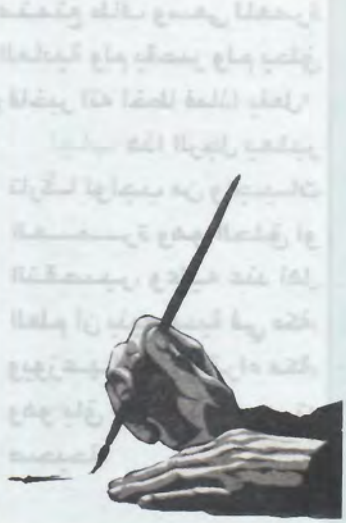

المعنى الشرعي

في الحديث الحادي والثلاثين من كتاب جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي قال:

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».

قال حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

وقال المحقق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور إن هذا الحديث قد حسنه النووي والعراقي والمنذري رحمهم الله، وأورده الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٤٤ ثم قال ابن رجب رحمه الله تعالى: وقد اشتمل هذا الحديث على وصيتين عظيمتين: إحدهما الزهد في الدنيا وأنه مقتض لمحبة الله عز وجل لعبده والثانية: الزهد فيما في أيدي الناس فإنه مقتض لمحبة الناس، فأما الزهد في الدنيا فقد كثر في القرآن الإشارة إلى مدحه وإلى ذم الرغبة في الدنيا كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى:١٦-١٧].

وقال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وقال تعالى في قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٧٩-٨٣].

وقال تعالى ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد:٢٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء:٧٧]، وقال تعالى حاكيا عن قوم آل فرعون؛ أنه قال لقومه ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٨-٣٩].

وقد ذم الله عز وجل من كان يريد الدنيا بعمله وسعيه ونيته وقد سبق ذكر ذلك في الكلام على حديث الأعمال بالنيات والأحاديث في ذم الدنيا وحقارتها عند الله عز وجل كثيرة جدًا ففي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بالسوق والناس يكتنفونه فمر بجدي أسكَّ - ميت - فتناوله فأخذ بأذنه فقال «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيا كان عيبًا فيه لأنه أسكُّ - والأسكُّ صغير الأذنين - فكيف وهو ميت؟ فقال: «فوالله! للدنيا أهون على الله من هذا عليكم».

وفيه أيضًا عن المستورد الفهري عن النبي ﷺ قال: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع؟».

وخرج الترمذي من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء» وصححه اهـ. ثم فسر معنى الزهد من خلال بعض الآثار الصحيحة الموقوفة على بعض الصحابة كما جاء في كتاب الزهد للإمام أحمد قال أبو مسلم الخولاني رضي الله عنه «ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، إنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يديك، وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها من إياها لو بقيت لك» وكذلك عن بعض التابعين مثل يونس بن ميسرة كما خرجه ابن أبي الدنيا عنه قال «ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواءً، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواءً».

ثم يقول ابن رجب: فسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء كلها من أعمال القلوب لا من أعمال الجوارح، ولهذا كان أبو سليمان يقول: لا تشهد لأحد بالزهد، فإن الزهد في القلب.

أحدها: أن يكون العبد بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه

وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوته، فإن الله سبحانه ضمن أرزاق العباد وتكفل بها كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]. وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢].

والثاني: أن يكون العبد إذا أصيب بمصيبة في دنياه من ذهاب مال أو ولد أو غير ذلك أرغب في ثواب ذلك مما ذهب منه في الدنيا أن يبقى له. وهذا أيضًا ينشأ من كمال اليقين، وقد جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا» وروى الحديث بكماله الترمذي في السنن وقال حسن غريب.

والثالث: أن يستوي عند العبد حامده وذامه في الحق، وهذا من علامات الزهد في الدنيا، واحتقارها، وقلة الرغبة فيها؛ فإن من عظمت الدنيا عنده أحب المدح وكره الذم؛ فربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق؛ خشية الذم، وعلى فعل كثير من الباطل؛ رجاء المدح.

أقسام الناس في الزهد:

ثم يقول ابن رجب إن الناس في الزهد منقسمون إلى ثلاثة أقسام ويعني به هنا المؤمنين بالله تعالى فإن غير المؤمن همه التمتع بالدنيا واغتنام لذاتها قبل الموت ومنهم من كان يأمر بالزهد في الدنيا لأنه يرى أن الاستكثار منها يوجب الهم والغم وإنه كلما كثر التعلق بها تألمت النفس بمفارقتها.

وبالنسبة للمؤمنين فهذه الأقسام هي:

ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله فالظالم لنفسه هم الأكثرون منهم، وأكثرهم وقف مع زهرة الدنيا وزينتها فأخذها من غير وجهها، واستعملها في غير وجهها، وصارت الدنيا أكبر همه، لها يغضب وبها يرضى ولها يوالي وعليها يعادي، وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر. وكلهم لم يعرف المقصود من الدنيا ولا أنها منزل سفر، يتزود منها لما بعدها من دار الإقامة، وإن كان أحدهم يؤمن بذلك إيمانا مجملا فهو لا يعرفه مفصلا، ذاق ما ذاقه أهل المعرفة بالله في الدنيا مما هو أنموذج ما ادخر لهم في الآخرة.

والمقتصد منهم أخذ الدنيا من وجوهها المباحة، وأدى واجباتها، وأمسك لنفسه الزائد على الواجب يتوسع به في التمتع بشهوات الدنيا، وهؤلاء قد اختلف في دخولهم في اسم الزهاد في الدنيا كما سبق ذكره، ولا عقاب عليهم إلا أنه ينقص من درجاتهم في الآخرة بقدر توسعهم في الدنيا فقد روى الإمام أحمد في كتابه الزهد بإسناده عن عمر رضي الله عنه قال: لولا أن تنقص حسناتي لخالطتكم في لين عيشكم، ولكن سمعت الله عير قومًا فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠].

ويشهد لهذا أن الله عز وجل حرم على عباده أشياء من فضول شهوات الدنيا وزينتها وبهجتها حيث لم يكونوا محتاجين إليها، وادخرها لهم عنده في الآخرة، وقد مضت الإشارة إلى هذا بقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٣٣-٣٥].

وأخرج الترمذي عن قتادة بن النعمان عن النبي ﷺ قال «إن الله إذا أحب عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء» وأخرجه الحاكم ولفظه «إن الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه» وصحح الحاكم الحديثين وأقره الذهبي.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

وأما السابق بالخيرات بإذن الله فهم الذين فهموا المراد من الدنيا وعملوا بمقتضى ذلك، فعلموا أن الله إنما أسكن عباده في هذه الدار ليبلوهم أيهم أحسن عملا كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [هود:٧].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك:٢].

وجعل ما في الدنيا من البهجة والنضرة محنة لينظر من يقف منهم معها ويركن إليها، ومن ليس كذلك كما قال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الكهف:٧]. ثَم بين انقطاعه ونفاده فقال ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف:٨].

فلما فهموا أن هذا هو المقصود من الدنيا جعلوا همهم التزود منها للآخرة التي هي دار القرار، واكتفوا من الدنيا بما يكتفي به المسافر في سفره كما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «ما لي وللدنيا إن مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح عنها وتركها» رواه أحمد في السنن وصححه الشيخ أحمد شاكر.

ووصى ابن عمر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل ورواه البخاري في كتاب الرقاق.

ليس من حب الدنيا طلب المصالح:

قال الحسن: ليس من حبك للدنيا طلب ما يصلحك فيها، ومن زهدك فيها ترك الحاجة يسدها عنك تركها ومن أحب الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه.

وقال سعيد بن جبير: متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس متاع الغرور ولكنه متاع إلى ما هو خير منه.

وقال أبو سليمان: كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما خازنين من خزان الله في أرضه ينفقان في طاعة الله وكانت معاملتهما لله بقلوبهما.

وكان مالك بن دينار يقول: الناس يقولون: مالك زاهد!؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز.

وفي المسند وسنن ابن ماجه عن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال:

«من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همه جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة» ورواه الترمذي عن أنس مرفوعًا وقال البوصيري في مصباح الزجاجة هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه «أنتم أكثر صومًا وصلاة وجهادًا من أصحاب محمد ﷺ وهم كانوا خيرًا منكم! قالوا: وكيف ذلك؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة».

الزهد فيما في أيدي الناس:

وقد جاء من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس في آخر حديث أطول وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

وقال الحسن: لا تزال كريمًا على الناس، أو لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك.

وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم فمن سأل الناس ما بأيديهم كرهوه وأبغضوه، لأن المال محبوب لنفوس بني آدم. فمن طلب منهم ما يحبونه كرهوه لذلك. وأما من كان يرى المنة للسائل عليه، ويرى أنه لو خرج له عن ملكه كله لم يف له ببذل سؤاله له، وذلته له، أو كان يقول لأهله: ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم، ودوابكم تحت غيركم أحسن منها تحتكم، فهذا نادر جدًا من طباع بني آدم، وقد انطوى بساط ذلك من أزمان متطاولة.

وأما من زهد فيما في أيدي الناس، وعف عنهم؛ فإنهم يحبونه لذلك ويكرمونه، ويسود به عليهم، كما قال أعرابي لأهل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم.

انتهى باختصار من جامع العلوم والحكم لابن رجب وإنما اكتفينا به لأننا وجدناه أنسب المراجع في هذا الباب، والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

مفاهيم عقائدية الإيمان بالملائكة

بقلم / **أسامة سليمان**

ثالثا: قدرات الملائكة:

١ ـ القدرة على التشكل في صورة بشرية والأدلة على ذلك متعددة في الكتاب والسنة منها:

أ) أن جبريل عليه السلام جاء مريم عليها السلام في صورة بشرية يقول سبحانه ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا × فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٦-١٧].

ب) أن الملائكة جاءوا إبراهيم عليه السلام في صورة بشر ولم يعرفهم فمال إلى أهله فجاء بعجل سمين وقدمه إليهم على أنهم بشر، يقول سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ × إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ × فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ...﴾ [الذاريات:٢٤-٢٦].

جـ) جاءت الملائكة لوطًا عليه السلام في هيئة شباب حسان فضاق بهم ذرعًا لأنه خشي عليهم من قومه حيث كانوا يأتون الذكران من العالمين يقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود:٧٧].

د) وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن جبريل عليه السلام جاء النبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ولم يعرفه الصحابه إلا بعد أن أخبرهم النبي ﷺ أنه جبريل أتاهم يعلمهم أمور دينهم.

٢ ـ سرعتهم التي تفوق التصور البشري، حيث كان جبريل يأتي النبي ﷺ والسائل عنده بين يديه ومن ذلك قصة المرأة التي جادلت النبي في زوجها عندما ظاهر منها فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ وقصة هلال بن أمية رضي الله عنه لما لاعن زوجته عند رسول الله فأنزل الله آيات سورة النور وهلال بين يدي النبي ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ...﴾ [النور:٦]

٣ ـ دقة تنفيذهم للأوامر الإلهية ونظامهم في كل شؤونهم:

ومن أدلة ذلك أن جبريل عليه السلام في رحلة المعراج كان يستأذن من ملائكة كل سماء وكذلك في حديث مسلم أن خازن الجنة يقول للنبي ﷺ أمرت ألا أفتح لأحد قبلك، وفي الحديث «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ قالوا: وكيف يصفون عند ربهم؟ قال: يكملون الصف الأول فالأول يتراصون في الصف» رواه الجماعة إلا البخاري.

٤ ـ اختصامهم أي تماريهم فيما خفي عليهم من أمر الوحي وقد ورد اختصام الملائكة في القرآن والسنة فاختصامهم في خلق آدم عليه السلام ورد في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [ص:٦٩-٧٠].

واختصامهم في الكفارات والدرجات ورد في حديث الترمذي ومسند أحمد «أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات والدرجات». والكفارات: المكث في المسجد بعد

الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات، واسباغ الوضوء في المكاره.

والدرجات: إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام. [صحيح الجامع (٧٢/١)].

رابعا : عباداتهم

والملائكة جبلوا على عبادة الله فليس لهم قدرة على المعصية ﴿لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] فالملائكة تفعل ما تؤمر به وتسارع إلى إجابة أمر ربها وهم عباد مكرمون يتصفون بكامل العبودية لربهم فهم في خوف دائم وخشية في أمر ربهم يقول سبحانه: ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٩].

ومن صور عبادتهم لربهم

١ - التسبيح: يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...﴾ [غافر:٧].

ويقول سبحانه: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠].

ويقول جل شانه: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ × وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات:١٦٥-١٦٦].

٢ - صلاتهم فهم يصطفون للصلاة ففي الحديث «أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم» [السلسلة الصحيحة٨٥٢].

٣ - حجهم: فالملائكة لها كعبة تحجها كما لأهل الأرض، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم، أن النبي ﷺ قال: «إنه رفع له في السماء السابعة البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه آخر ما عليهم».

والبيت المعمور حيال الكعبة الأرضية وهو كعبة أهل السماء السابعة ولأن الجزاء من جنس العمل وجد النبي ﷺ إبراهيم عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور لأنه رفع القواعد من البيت لأهل الأرض.

خامسا : الملائكة وعلاقتهم بآدم:

وعلاقة الملائكة بآدم عليه السلام واضحة بينة فعندما أراد الله خلق آدم أخبر الملائكة فسألت عن الحكمة من خلق آدم لا سيما أنه سيقع من ذريته إفساد في الأرض وإراقة للدماء يقول جل شانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

وبعد خلق آدم عليه السلام أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود له، والسجود لآدم كان على سبيل التحية والتعظيم والتكريم وليس على سبيل العبادة فالسجود لآدم والطاعة لله يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، والملائكة هي التي علمت آدم تحية الإسلام ففي الحديث «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله». قال: «فزادوه ورحمة الله» متفق عليه. ولما مات آدم عليه السلام غسلته الملائكة بالماء وترًا، ففي حديث الطبراني بإسناد صحيح «لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترًا، وألحدوا له، وقالوا: هذه سنة آدم في ولده» [صحيح الجامع ٤٨/٥].

والحمد لله رب العالمين.

كيف نفهم العقيدة

الحلقة الثالثة

بقلم/ د. محمود عبد الرازق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

في العدد الماضي تحدثنا عن القاعدة الأولى والثانية اللتين نفهم من خلالهما عقيدة أهل السنة والجماعة، ونواصل الحديث في هذا العدد بذكر القاعدة الثالثة.

فالقاعدة الثالثة التي نفهم من خلالها العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح، أن الاحتجاج بالأحاديث النبوية كالاحتجاج بالآيات القرآنية سواء بسواء، ولا خلاف بين جمهور العلماء الذين يعتد بهم في أن السنة يحتج بها، وتستقل بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن الكريم سواء بسواء في تحليل الحلال وتحريم الحرام، وأنها المصدر الثاني لمعرفة أصول الإسلام، بعد القرآن الكريم الذي هو خير الكلام، وأنه لا يستغني عنها مطلقًا لأنها المفصحة عن معاني القرآن، الكاشفة عن أسراره.

ولو أغفلنا السنة في الاحتجاج فإن الأحكام التي نستخلصها بعقولنا وجهدنا من القرآن لن تعبر عن حقيقة الوحي، وقد أكد القرآن بوضوح أن السنة وحي من الله يجب الإيمان به، ويجب اتباع الرسول ﷺ في كل شيء، وفي كل وقت، في حياته وبعد مماته، لأنها أصول لم تخصص بزمن دون زمن، فيجب تصديق رسول الله ﷺ في كل ما ذكره من أخبار، وتنفيذ كل أوامره ﷺ عن رضي ومحبة.

يقول ابن حزم في الإحكام: (إن القرآن لما كان هو الأصل الذي يرجع إليه في معرفة الإسلام، وجدنا فيه وجوب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفًا لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤]، فصح لنا بذلك أن الوحي من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ ينقسم قسمين:

أحدهما: وحي متلو مؤلف تأليفًا معجز النظام وهو القرآن.

والثاني: وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء، وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ، وهو المُبَيِّنُ عن الله عز وجل مراده منا).

ومن الأدلة القرآنية التي تقرر هذه الحقيقة بلا نزاع قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]، وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١-٣٢]، وقوله: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]،

وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً﴾ [الأحزاب:٣٦].

وأمثال ذلك في القرآن كثير، وكله يدل على أنَّ السنة وحي من الله تعالى لرسوله ﷺ وأنه لابد من اعتماد السنة في معرفة أصول الأشياء، والإذعان لها كالقرآن سواء بسواء.

وقد ثبتت روايات كثيرة في السنة تؤكد أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يتهاونون في ذلك، وأن النبي ﷺ حذرهم من الكذب عليه أو التكذيب بسنته، فمن ذلك ما رواه أبو داود وصححه الشيخ الألباني من حديث المِقْدَام بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول:عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّمُوه».

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم من حديث علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله» فبلغ ذلك امرأة من بني أسد، يقال لها أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] فقالت المرأة: فإني أرى شيئا من هذا على امرأتك الآن، قال: اذهبي فانظري، قال: فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئًا، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئا، فقال: أما لو كان ذلك لم نُجامعها».

ومعنى لم نجامعها، قال جماهير العلماء: معناه لم نصاحبها ولم نجتمع نحن وهي، بل كنا نطلقها ونفارقها، وقيل: يحتمل أن معناه لم أطأها، وهذا ضعيف كما ذكره النووي، والصحيح أن من عنده امرأة مرتكبة معصية كوصل الشعر أو ترك الصلاة أو غيرهما ينبغي له أن يطلقها.

وكلام عبد الله بن مسعود واضح في التزامه بالسنة قولاً وعملاً، كالتزامه بمقتضى أحكام القرآن، وروى أبو داود عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه كان جالسا مع أصحابه، فقال له رجل من القوم: «يا أبا نجيد إنكم لتحدثوننا بأحاديث ما نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران وقال للرجل: أوجدتم في كل أربعين درهمًا درهم، ومن كل كذا وكذا شاة شاة، ومن كل كذا وكذا بعيرًا كذا وكذا، أوجدتم هذا في القرآن؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم هذا؟ أخذتموه عنا، وأخذناه عن نبي الله ﷺ وذكر أشياء نحو هذا».

فلا عبرة بمذهب الشيعة والخوارج في رد بعض ما ورد في السنة لأن لهم مواقف خاصة في كثير من الصحابة، وهم رواة الحديث عن رسول الله ﷺ، قال السيوطي في رد الشيعة لكلام النبي ﷺ: «وأصل هذا الرأي الفاسد في عدم الاحتجاج بالسنة أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة، ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على القرآن، وهم في ذلك مختلفوا المقاصد، فمنهم من كان يعتقد أن النبوة لعلي وأن جبريل أخطأ في نزوله إلى سيد المرسلين، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، ومنهم من أقر للنبي ﷺ بالنبوة ولكن قال: إن الخلافة كانت حقًا لعلي، فلما عدل به الصحابة عنه إلى أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.. كفروا الصحابة وبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها، لأنها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار».

ولا عبرة أيضا ببعض آراء المعتزلة والمتكلمين الداعية إلى عدم الاحتجاج بالسنة في الآحاد، أو المتواتر من الروايات بحجة مخالفتها لآرائهم الكلامية كقول أبي الهذيل العلاف من شيوخ المعتزلة: «إن الحجة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم السلام وفيما سواها لا تثبت بأقل من عشرين نفسا، فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر»، ويذكر عبد القادر البغدادي أن كلام العلاف تعطيل للأخبار الواردة

في الأحكام الشرعية عن فوائدها وتهكم واحتقار لما خالف ذلك من روايات السنة واستهزاء بناقليها.

فينبغي قبول خبر الواحد كالمتواتر، فلم يختلف أحد من الأمم في أن رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك رسلاً، رسولاً واحداً إلى كل مملكة يدعوهم إلى الإسلام، واحدا واحدا إلى كل مدينة، وإلى كل قبيلة كصنعاء وحضرموت ونجران وتيماء والبحرين وعمان، وغير ذلك من البلدان، يعلمهم أحكام الدين كلها، وافترض على كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم، فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبلغًا إلى رسول الله ﷺ، وقد ثبت عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وداود، وجوب القول بخبر الواحد في العقيدة وسائر الأحكام.

ومن البرهان على قبول خبر الواحد قوله تعالى عن موسى عليه السلام لما قال له رجل: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠]، فصدقه وخرج فارًا، وكذلك تصديقه المرأة في قولها الذي ذكره القرآن: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٢٥] فمضى معها وصدقها.

وجمهور العلماء على أن خبر الواحد العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه إلى رسول الله ﷺ من غير شذوذ ولا علة يوجب العلم والعمل معًا، فلا عبرة بقول المعتزلة والخوارج: إن خبر الواحد لا يوجب علينا علمًا ولا عملاً.

ويجدر التنبه إلى حال بعض المعاصرين، أو الدارسين على أيدي المستشرقين في هجومهم على سنة خاتم النبيين ونفي حجيتها، والدعوة إلى الأخذ بالقرآن فقط، أو محاولاتهم المتكررة لتقييم السنة لا على قواعد علم الحديث، ولكن على استحسان أحدهم أو ادعاءاته أن العلوم العصرية تعارض مدلول الأحاديث أو غير ذلك من الأسباب.

وينبغي أن يعلم أنه ليس في صحيح الإمام البخاري حديث واحد يخالف ما جاء في القرآن أو صحيح المنقول، وقد تلقته سائر الأمة من وقت البخاري إلى الآن بالرضي والقبول، حتى العامة لو أخطأ أحدهم في شيء فإنه يقول: «ما أخطأنا في البخاري» ولو سألته: من البخاري؟ قال: لا أعرف، فانظر ماذا يقول الدكتور مصطفى محمود، انظر إلى المحسوب على علماء الإسلام، الذي ينفي الشفاعة عن صاحب الحوض والمقام، وهو يقول في جريدة الأهرام: «وما يقوله البخاري مناقض للقرآن لا يلزمنا في شيء ويسأل عنه البخاري ولا نسأل نحن فيه، ولم يكن البخاري رضي الله عنه وأرضاه هو الوحيد الذي خاض في موضوع السيرة النبوية، لكن كتاب السير كثيرون وقد تناقضوا واختلفوا بين بعضهم البعض، وامتلأت كتب السير بالموضوع والمدسوس من الأحاديث والعجيب والمنكر من الإسرائيليات»، لم يميز العالم المتبحر النحرير صاحب برنامج العلم والإيمان بين كتب السيرة وكتب الحديث؟

قال ابن القيم رحمه الله:

«والذي يشهد الله ورسوله به أنه لم تأت سنة صحيحة واحدة عن رسول الله ﷺ تناقض كتاب الله وتخالفه البتة، كيف ورسول الله ﷺ المبين لكتاب الله وعليه أنزل، وبه هداه الله وهو مأمور باتباعه، وهو أعلم الخلق بتأويله ومراده، ولو ساغ رد سنن رسول الله ﷺ لما فهمه الرجل من ظاهر الكتاب لردت بذلك أكثر السنن وبطلت بالكلية، فما من أحد يحتج عليه بسنة صحيحة تخالف مذهبه ونحلته إلا ويمكنه أن يتشبث بعموم آية أو إطلاقها، ويقول هذه السنة مخالفة لهذا العموم والإطلاق فلا تقبل، حتى إن الخوارج ردت من الأحاديث الدالة على الشفاعة وخروج أهل الكبائر من الموحدين من النار بما فهموه من ظاهر القرآن، وردت كل طائفة ما ردته من السنة بما فهموه من ظاهر القرآن».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

اتبعوا ولا تبتدعوا

•• الحلقة الرابعة ••

أقسام البدع

بقلم: معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ففي هذا المقال نتناول بمشيئة الله أقسام البدع كما بينها أهل العلم. فنقول مستعينين بالله عز وجل:

تنقسم البدع إلى أنواع عديدة بحسب مخالفتها للشرع، من جهة كونها تتعلق بالعقائد أو بالأحكام، وبحسب ارتباطها بأزمنة معينة أو أمكنة معينة أو بحسب ما يندرج تحتها من مخالفات للشرع، وإليك البيان:

القسم الأول: البدع التركية والبدع الفعلية

أولا: البدعة التركية: فقد تكون البدع بترك ما فعله النبي ﷺ بزعم التقرب به إلى الله تعالى: من أمثلة ذلك:

(١) بدع تركية في الاعتقادات:

كل اعتقاد كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم من السلف الصالح فإنه يجب الأخذ به والملازمة له، وأنه هو الصواب الذي لا محيد عنه وكل فرقة من فرق الضلال والابتداع قد تركت شيئًا أو أشياء مما كان عليه النبي ﷺ فمن ذلك:

أ - الرافضة:

تركت اعتقاد محبة أصحاب النبي ﷺ وموالاتهم.

ب - الخوارج:

تركوا طاعة إمام المسلمين.

ج - المرجئة:

تركوا اعتقاد دخول العمل في الإيمان.

د - الجهمية:

تركوا اعتقاد الصفات لله عز وجل.

وكل فرقة من الفرق الضالة تركت بعض الحق واعتنقت مكانه باطلا.

(٢) بدع تركية في العبادات:

من أمثلة ذلك:

١ - ما يزعمه ملاحدة الصوفية من سقوط التكاليف عن العارف وجواز تركه للوحي ولوازمه استغناءً عنه بالعلم اللدني.

٢ - ترك الرافضة المسح على الخفين.

(٣) بدع تركية في المعاملات:

أ - مثل: ترك الزواج، وترك كسب الرزق الحلال لأجل التفرغ للعبادة والخلوة من أجل مزيد القربة كما يفعله المتصوفة ويعتقدونه دينًا وطاعة لله.

ب - ترك الخوارج مؤاكلتهم المسلمين وممبايعتهم ومناكحتهم وغير ذلك.

(٤) بدع تركية في الأقوال:

أ - كترك المتصوفة القرآن والحديث والاستعاضة عنهما بالغناء والرقص والأوراد المبتدعة كصلاة الفاتح ونحوها وكتركهم للأذكار الشرعية واستبدالها بأذكار طرقهم البدعية المليئة بالشركيات والخرافات والبدع.

(٥) بدع تركية في العادات: مثل ترك كثير

من المتصوفة تناول الطيبات من الرزق تنسكًا، وتعذيبًا للنفس وحرمانها من الحلال تعبدًا لله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧].

ففي الآية نهي عن تحريم ما أحل الله، وإشعار بأن ذلك اعتداء لا يحبه الله.

وفي الحديث: أن بعض الصحابة أرادوا أن يحرموا على أنفسهم أنواعًا من الحلال فحرم بعضهم على نفسه نوم الليل وحرم الآخر الأكل بالنهار وآخر أكل اللحم وآخر إتيان النساء. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا؟ لكني أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه.

ثانيا: البدعة الفعلية: قد تكون بفعل ما لم يفعله النبي ﷺ، والتقرب إلى الله تعالى بما لم يتعبد به النبي ﷺ.

أ - كتخصيص يوم من الأيام بصيام مع أن النبي ﷺ لم يخصصه بصيام.

ب - وكتخصيص ليلة من الليالي بصلاة وقيام مع أن النبي ﷺ لم يخصصها بقيام وصلاة.

جـ - وكتخصيص زيارة المقابر في أيام معينة مع أن النبي ﷺ لم يخصصه بالزيارة.

وفي كل ذلك يزعم صاحبها التقرب إلى الله تعالى، وجلب خير لنفسه أو للمسلمين.

القسم الثاني: البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية

أولا: البدعة الحقيقية: هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل كما بين ذلك الشاطبي.

من أمثلتها:

١ - الطواف بغير الكعبة، والوقوف بغير عرفة، ووضع الهياكل والشموع حول القبور والأضرحة.

٢ - الرؤى والكشوف الشيطانية عند المتصوفة، حيث يبنون أعمالهم وأقوالهم المبتدعة على رؤيا رآها أحدهم أو رؤيت له أو رآها شيخه أو على كشف شيطاني بان له أو على ذوق نفسي وجده.

وإنكار الاحتجاج بالسنة وتقديم العقل على النقل، كما هو حال معتزلة العصر أتباع المدرسة العقلية، الذين يزعمون أن العقل سفينة النجاة.

٣ - اختراع عبادة ما أنزل الله بها من سلطان، كالصلاة بغير طهارة.

ثانيا: البدعة الإضافية: هي ما لها من الأدلة متعلق، فلا تكون مخالفة للشرع من هذه الجهة، ولها كذلك جهة ليس لها متعلق من الشرع فهي به بدعة.

أي أنها: بالنسبة إلى إحدى الجهتين موافقة للشرع مستندة إلى دليل، وبالنسبة للجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل أو غير مستندة إلى شيء.

الفرق بين البدعة الإضافية والبدعة الحقيقية

والفرق بين البدعة الإضافية والبدعة الحقيقية من جهة المعنى: أن الدليل على الإضافية من جهة الأصل قائم ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها دليل، مع أنها محتاجة إليه، لأن العبادات توقيفية تحتاج لدليل شرعي.

روى ابن وضاح بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: «كنت جالسًا عند الأسود بن سريع وكان مجلسه في مؤخر المسجد الجامع فافتتح سورة بني إسرائيل حتى بلغ: (وكبره تكبيرا) فرفع أصواتهم الذين كانوا جلوسًا حوله، وجاء مجالد بن مسعود يتوكأ على عصاه فلما رآه القوم قالوا: مرحبًا مرحبًا. اجلس. قال: ما كنت لأجلس إليكم وإن مجلسكم حسنٌ. ولكنكم قبل صنعتم شيئًا أنكره المسلمون فإياكم وما أنكر المسلمون».

فتحسينه المجلس كان لقراءة القرآن وأما رفع الصوت بالتكبير عند الآية فهو الأمر المحدث الذي نهى عنه مجالد وأنكره، وهذه هي البدعة الإضافية.

من أمثلة البدع الإضافية:

١ - صلاة ليلة النصف من شعبان: وهي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة الإخلاص إحدى عشرة مرة.

٢ - صلاة الرغائب: وهي اثنتا عشرة ركعة عقب صلاة المغرب ليلة الجمعة الأولى من رجب يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاث مرات، والإخلاص اثنتي عشرة مرة.

قال الإمام النووي في صلاة الرغائب: «ليس لأحد أن يستدل على شرعيتها لما روى عنه ﷺ أنه قال: «الصلاة خير موضوع فإن ذلك يختص بصلاة لا تخالف الشرع بوجه من الوجوه وقد صح النهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة» اهـ.

٣ - صلاة بر الوالدين.

٤ - صلاة مؤنس القبر.

وهذه كلها بدع قبيحة.

ووجه مشابهة الشرع استحباب صلاة التطوع لقوله ﷺ: «الصلاة خير موضوع» رواه الطبراني في الأوسط، وهي بدعة من جهة التزام وقت مخصوص وكيفية مخصوصة ونية مخصوصة مخالفة للشرع لم تثبت.

٥ - التلحين في الأذان والزيادة فيه:

بإخراج كلماته عن كيفيتها الشرعية بإيقاعها على ألحان بدعية وزيادة لفظ التسييد في «شهادة أن محمداً رسول الله» والصلاة والسلام عليه ﷺ مع الأذان جهرًا وجعلها بمنزلة الأذان.

٦ - التأذين للعيدين: فالأذان قربة وهنا بدعة.

٧ - ختم الصلاة بصورة جماعية وبكيفية مخالفة في أذكارها لما كان يفعله النبي ﷺ وأصحابه.

٨ - قراءة الصمدية مائة ألف مرة.

تنبيه: صاحب البدعة الإضافية يتقرب إلى الله تعالى بمشروع وبغير مشروع، والتقرب إنما يكون بمحض المشروع، إذ لا يتقرب إلى الله إلا بما شرع، فكما يجب أن يكون العمل مشروعًا باعتبار ذاته يجب أن يكون مشروعًا باعتبار كيفيته. كما يفيده قوله ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم.

لذلك ينبغي للدعاة الاهتمام البالغ عند بيان البدعة الإضافية لأنها تلتبس على كثير من الناس لعدم دراية فاعليها بحقيقة مخالفة الشرع فيها.

القسم الثالث: البدعة الكلية والبدعة الجزئية

أولا: البدعة الكلية: هي التي تعتبر كالقاعدة أو الأصل لبدع أخرى تبنى عليها ويتعدى أثرها إلى أمور كثيرة كما بين ذلك الشاطبي في الاعتصام.

من أمثلة ذلك:

١ - بدعة عصمة الأئمة عند الروافض:

فهي بدعة كلية يترتب عليها جملة من الضلالات والبدع.

- كإنزالهم أئمتهم منزلة لا يصل إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل واعتقاد الصواب المطلق في أقوالهم وأفعالهم.
- وكاعتقاد خروج المهدي من السرداب إلى غير ذلك من الضلالات.

٢ - القول بأن للشريعة ظاهرًا وباطنًا كما يقول الباطنية.

٣ - الزعم بأن منزلة الولي فوق منزلة النبي كما يقول زنادقة الصوفية.

٤ - ترك العمل بالحديث النبوي كما يفعل الخوارج.

٥ ـ وإنكار الأحاديث النبوية، أو إنكار حجية أخبار الآحاد في العقائد، فيندرج تحتها مالا نهاية له من المخالفة لفروع من أحكام الشريعة.

ثانيًا: البدعة الجزئية:

فهي لا تتجاوز ذاتها فلا يبنى عليها شيء من البدع ولا يمتد أثرها إلى شيء من الأعمال الأخرى التي يفعلها صاحبها فهي على عكس البدع الكلية.

ومن أمثلتها:

١ ـ بدعة المداومة على المصافحة عقب الصلوات كقول بعضهم لبعض بعد التسليم «حرمًا».

٢ ـ وبدعة الجهر بالنية في الصلاة.

٣ ـ وبدعة تلقين الميت في قبره بعد دفنه وبدعة التلحين والزيادة في الأذان.

القسم الرابع: البدع الاعتقادية والبدع العملية

أولا: البدع الاعتقادية:

كاعتقاد خلاف ما جاء به الرسول ﷺ لا على وجه المعاندة للشرع بل بنوع من شبهة:

١ ـ كغلو الرافضة والمتصوفة في أهل البيت والمشايخ والأولياء.

٢ ـ كبدعة الخوارج في اعتقادهم تكفير عصاة المسلمين بل بأهوائهم اعتقدوا كفر عدد من الصحابة.

٣ ـ كالمجسمة والمشبهة الذين شبهوا الله بخلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٤ ـ كالجهمية الذين نفوا الصفات والأشاعرة الذين أولوا الصفات.

٥ ـ كإنكار القدر وتعطيل الصفات أو تأويلها، وجعل الإيمان مجرد القول والاعتقاد فقط.

ثانيا: البدع العملية: كالذكر أمام الجنائز وبدع زيارة القبور (كقراءة الفاتحة ويس على المقابر، وقصد القبر للدعاء رجاء الإجابة، وقصدها للصلاة، والتوسل إلى الله بالمقبور وطلب الحاجات من الموتى، اعتقادًا منهم أن الميت يتصرف في الأمور من دون الله عز وجل) تعالى الله عن ما يقولون علوًا كبيرا.

القسم الخامس: بدع الأزمنة والأمكنة

وذلك باعتبار الأزمنة أو الأمكنة التي تقع فيها البدع:

١ ـ بدع الأزمنة: كبدع الموالد والأعياد والمواسم مثل: الاحتفال بعيد شم النسيم وعيد رأس السنة الميلادية وغير ذلك من الأعياد المبتدعة.

٢ ـ بدع الأمكنة: كبدع المساجد والمقابر والجنائز والمآتم، وهي كثيرة غير محصورة.

وقد تكون البدع عامة لا تختص بزمان ولا بمكان كتقليد المتفرنجين للأوربيين وأهل الجاهلية فيما هو مخالف للشرع.

وبعد فإن الأمثلة التي ذكرناها تحت كل قسم من أقسام البدع ليست حصرًا ولا استقصاءً لها، وإلا فحصرها لا ينتهي بل هي بعدد الأهواء، بل بعدد أنفاس أهل البدع.

هدانا الله وإياهم إلى طريق أهل السنة والجماعة ووقانا الله وإياهم البدعة والخلاف والفرقة.

والحمد لله رب العالمين وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

قرار إشهار

رقم ٦٠٦ بتاريخ ١٣ / ١١ / ٢٠٠٣م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بكفر الشيخ بأنه قد تم إشهار جمعية / أنصار السنة المحمدية ببلطيم وذلك طبقا للقانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون

تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات مجلة التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأي سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٨ جنيهًا مصريًا. وفروع أنصار السنة ١٥ جنيهًا مصريًا. ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية. والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية.

مفاجأة كبرى

- لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٠ مجلدًا من مجلة التوحيد عن ٣٠ سنة كاملة.
- ٥٠٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر.
- ١٢٥ دولارًا لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن.
- ٧٥ دولارًا للشحن.

علمًا بأن منفذ البيع الوحيد في المركز العام هو الدور السابع بمقر مجلة التوحيد

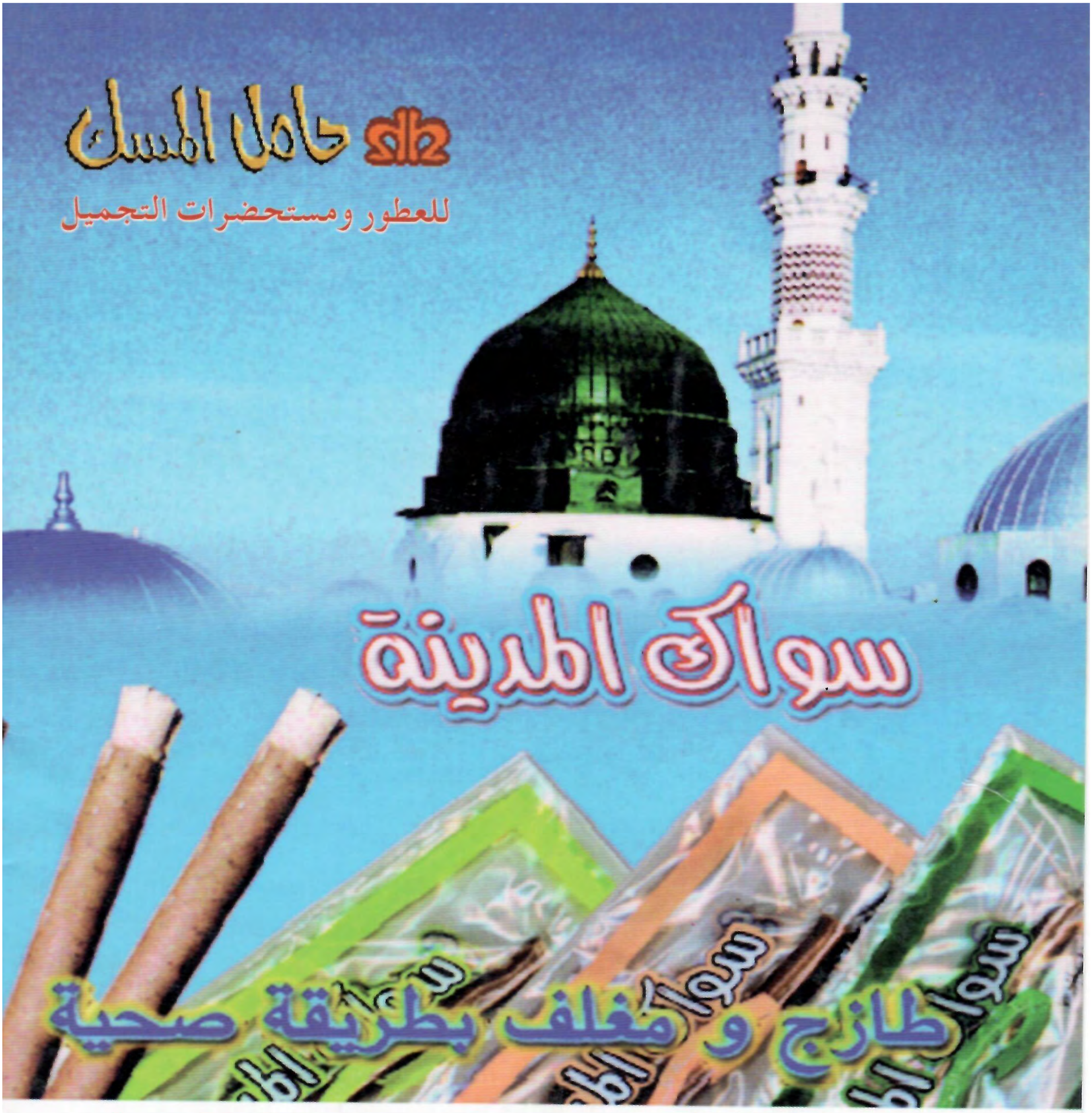
حامل المسك
للعطور ومستحضرات التجميل
سواك المدينة
طازج و مغلف بطريقة صحية

حامل المسك
للعطور ومستحضرات التجميل

المملكة العربية السعودية
جدة / المنطقة الصناعية المرحلة الرابعة
ت : ٦٣٥٥١٤٤ / ٠٢ فاكس : ٦٣٥٥٧٥٧ / ٠٢

جمهورية مصر العربية
٠٢/٣١٢٦٠٣٧ القاهرة
جوال ٠١٠/٦٥٨٨٢٧٤

هدية لحجاج بيت الله الحرام من محلات حامل المسك

لا تنسى هدية الأهل والأحباب عند العودة من (المسك المحمدي) الجديد من حامل المسك